لطفيّة الدليمي

مملكة الروائيين العِظام

خذ الكتاب مصوراً

كِتابُ المُناجَيات
التوقُ إلى مملكة
الروائيين العِظام



Author: **Lutfiya Al-Dulaimi**	اسم المؤلف: لطفيّة الدليمي
Title: **The Book of Confidential Talks: The longing for the kingdom of the great novelists**	عنوان الكتاب: كتابُ المُناجَيات: التوقُ إلى مملكة الروائيين العِظام
Cover Designed by: **Majed Al–Majedy**	تصميم الغلاف: ماجد الماجدي
P.C.: **Al–Mada**	الناشر: دار المدى
First Edition: **2018**	الطبعة الأولى: **2018**



للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

+ 964 (0) 770 2799 999 + 964 (0) 770 8080 800 + 964 (0) 790 1919 290	بغداد: حي أبو نواس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141 Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141 www.almada-group.com email: info@almada-group.com
+ 961 706 15017 + 961 175 2616 + 961 175 2617	**بيروت:** الحمرا- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الأول dar@almada-group.com
+ 963 11 232 2276 + 963 11 232 2275 + 963 11 232 2289	**دمشق:** شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار al-madahouse@net.sy ص.ب: 8272



لطفيّة الدليمي

كِتابُ المُناجَيات

التوقُ إلى مملكة الروائيين العِظام

نيكوس كازانتزاكي - هرمان هسّه

غابرييل غارسيا ماركيز



المحتويات

تقديم

مُناجَيات في مملكة الروائيين العظام

في مناجياتي الممتدة مع العملاق الإغريقي نيكوس كازانتزاكي بهرتني عبارته الساحرة: (توصّل الى مالاتستطيعه) التي كانت مفتاح سر حياته وكفاحه: واصل مسعاك لإنجاز صيرورتك الإنسانية في مدى عمرك البشري القصير، لاتتوقف ولاتلتفت إلى الوراء، إمضِ نحو تلك الوهجة النائية في الأفق، عليك أن تختبر الطرق الوعرة وأن ترتقي المنحدرات الخطيرة، ستجرحك الأشواك والصخور تدمي قدميك، دع الطرق المستقيمة فإنها لاتعزز قوتك، إختبر ذاتك في الصعب الوعر الذي تتجنبه الأرواح الواهنة، لاتتردد، سترتكب كثيراً من الأخطاء والخطايا ولكنك ستنجح أخيراً في التحرر من قيود الزمان والمكان والوصايا، ستفوز بروحك الحرة وتتألق جوهرة الوعي والحرية في ذاتك المستفيقة.

تعلمتُ من مناجياتي مع كازانتزاكي أن لاأؤمن بالحدود، كان يقول: **نواصل الصراع لأننا نحب التفوق لا الخنوع،** ويردد: **نحن نغني رغم أنه لاوجود لمن يسمعنا، ولا أحد يدفع أجورنا، نكتب لأنفسنا ولانعمل للآخرين، نحن أسياد بساتين العالم، البستان ملكنا، نحرثه ونشذّب شجره ونجمع غلاله ونعصر أعنابه ونحتسي خلاصة خمرها،**

بمعنى عندما ننسى الحدود نستطيع فعل المستحيلات. العقل والقلب يقيدانا....

هذا مافعله كازانتزاكي بحياتي، تبعت حلمي ولم أحفل بالحدود و(**كافحت بأقصى ما أستطيعه لأبلغ مالا أستطيعه**)، نحن الكائنات البشرية التي يتهددها الفناء كل آونة، ينبغي لنا أن ننهض من ثقل الطين والتراب وننقب عن جذوة عتيقة تلبثت في دمائنا من الشهب ونيران الأسلاف، نوقظها لنستدلّ على أحلامنا التي تتهددها مخاطر المجتمعات والأضداد، هكذا استطعت أن أتجاوز مستحيلات العيش وسط الحروب والدم والهلع وأنجو بتلك الجذوة التي تلاحقها النزعات العدمية والتنافس الفظ والنفاق المجتمعي في محاولة مستميتة لإخمادها.

وكما كافحت بأقصى ماأستطيعه مهتدية بكفاح المعلم الكريتي العظيم كازانتزاكي في الزهد ومواصلة العمل في أسوأ الظروف، ساندني المعلم الروحانيّ الكبير هيرمان هيسه في مناجياتي معه لأستنير بوهجات الحكمة المشرقية ورهافة الروحانية الآسيوية وقوتها والاسترشاد بعظمة النور لا بضباب الفكر المتجهّم، وجدت فيه صنوي الذي يخاطب الطبيعة ويتعلم منها أسرار الديمومة والتجدّد، أنا التي نشأتْ في البساتين الشاسعة وعند ضفاف الأنهار العظيمة وبين أذرع النخل وشجر التين ووهج البرتقال وأشذاء الورد وعبق الريش المبلول للبلابل والحمائم، أنا التي كنت أقتنص العبير الحلو الذي يوقظه المطر في نبتة مهملة وأستدلّ على نجمة الصباح وسط أسراب الإوز وطيور القطا، همس لي هذا المعلم: (**كانت الأشجار وظلت بالنسبة لي الواعظ الأعظم تأثيراً في روحي، إني أبجّلها سواء أكانت تحيا في مجموعات أسرية في الغابات والبساتين، أو منفردة وحدها، وكلما وقفت بمفردها يزداد تبجيلي لها...**)؛ فرأيتني شجرة وحيدة تصارع العاصفة والزمن وترفض وقوفها العاجز وتحقق وجودها وفق قانونها الخاص...

من مناجياتي الممتعة مع العملاق اللاتيني ماركيز أخذت على نفسي عهداً: أن لاأتراجع أبداً وأواصل ملاحقة أحلامي وأجترح أسلوبي ونمط كتابتي، أهتدي بقوة الأنوثة الرائية وحدسها وأزهو بها، أتقبل سمات أنوثتي وميزاتها الثمينة وقوتها وتجددها، أمجّد طاقة الخلق وأمومة الوجود وصنع الحكايات، تعلمت من روايته العظيمة (مائة عام من العزلة) فكرته البسيطة والحاسمة: **قد لانبلغ البحر في مسيرتنا ولكننا لن نعود إلى الوراء**، وفي إحدى مناجياتي معه أخبرني بسر جليل **(إن قصص الحياة السعيدة لا تدفع بعالمنا الى الأمام بل إن ما يحرّضه ويجدده وينقذه من التحلل والفناء تلك القصص والأحداث التي تقترن بالمآسي)**، وردّد على مسمعي عبارته المحرضة: طالما أنك ولدتِ تحت برج الحوت مثلي إحتضني محنتك وأحلامك والحكايا وحاولي صنع مدينتك المتخيلة واتبعي سحر واقعك الشرقي من غير التفريط بعلوم الحاضر وتجليات العقول الحرة.........

لطفية الدليمي

الأردن، عمّان:

23 نيسان 2018

مُناجيات مع نيكوس كازانتزاكي

1. وأزهرت شجرة اللوز

وأنت تعبر الجبال المكسوة بالصنوبر والصخور وتحج إلى معابد آلهة الاغريق وتنصت لهدير الموج وضجة الزمن وتفتح نوافذك على الربيع المبكر لأرض كريت، ترى الفصول كلها، النحل وعناقيد العنب وأزاهير الزنبق وتنتشي بالطبيعة وتحضر لك ايليني،معشوقة عمرك، قدح الحليب ورغيف الخبز الريفي، فتمتلئ بالنشوات العظيمة وتخرج الى الحديقة دامع العينين.

ذلك الصباح قلتَ لشجرة اللوز:حدثيني عن الله.. فأزهرت شجرة اللوز، تفصح عما في أعماقك وتكتب عبارة مفتاحية: روحي صرخة وأعمالي كلها تعقيب على الصرخة.

نيكوس كازانتاكي الإغريقي الكريتي، أنت أحد المعلمين الكبار الذين مجّدوا الطبيعة والأرض والجذور والكلمة والعقل، أحبوا الجوهر المتصارع في أعماق البشر، وطرحوا السؤال تلو الآخر دونما كلل، وكابدوا الحج الى متاهات الحياة مرارا مترنحين بين نعمة الهدوء وفورة الثورة، وأنت من أنجز ترجمة معاصرة لأوديسة هوميروس بالانكليزية وأطلقت النموذج الزوربوي ذا النزعة الأبيقورية المعنية باللذة اللحظية، ثم أنت المشغول بتخليق الحياة كل لحظة لترد على الصرخة الممتدة التي تقول: إن هدف الحياة الموت ونحن نكتب ونعزف ونرقص ونؤلف الملاحم ونولد كل لحظة، ذلك أن هدف الحياة هو الخلود.

- تقول في كتابك «الحديقة الصخرية» إن في داخل الكائن الحي

ذلك الاصطدام المستمر بجدولين متضادين يمثلان الفناء والحياة، كيف ترى هذا الصراع المؤبد؟؟

- في داخل كل منا تتصارع قوتان أو جدولان، الأول هو شهوة الارتقاء نحو التكوين والتشكل والتطور الروحي والاتجاه نحو الحياة والخلود، أما الثاني فهو الانحدارنحو التفكك نحو المادة، نحو الموت، وينبع كلا الجدولين من أعماق جوهرنا البدائي..

- يؤخذ عليك أحيانا أنك ترينا الظلام والقسوة والدم لكي نعتنق النور أو نفهم جوهر الضياء، فتقول: أننا نجيء من هاوية مظلمة وننتهي إلى هاوية مظلمة ونسمي الفاصل المضيء حياة، هل أنت مع نظرية العود الأبدي النيتشوية؟؟

- قد لايعنيني طرح نيتشة لكنني أعلم أننا حالما نولد تبدأ رحلة العودة والانطلاق نحو الرجوع فنحن نموت كل لحظة ويصاب الكثيرون بالهلع ويصرخون بالسؤال المؤبد لماذا نولد لنموت؟؟ هل هدف الحياة الموت؟

- لكن الحياة ذاتها تبقى مصدر دهشتنا فهي تبدو مقاومة لكل قانون ومضادة للطبيعة وأنها بلا بداية كالموت، ماذا نفعل لنخلق الإنسجام بين هاتين القوتين المتصارعتين في أعماقنا..؟؟

- أن نهيئ انفسنا، أن نقوم بمهمة التحضير لعبور الهاوية وعلينا ثلاث واجبات لابد من إدراكها والقيام بها..

- ماهي تلك الواجبات التحضيرية؟؟

- في كتابي «الحديقة الصخرية»، وهو نص عن عقيدة الزن والحدائق الرمزية اليابانية المشكلة من دوامات الرمل والصخور الموزعة في تناغم وانسجام مع بعضها ومع الطبيعة المحيطة بها، اكتشفت عندما تأملت حديقة الزن الصخرية أن واجبنا الأول الإقرار بأن كل ماحولنا هو من ابتداع أذهاننا..

- تعني أن كل ماحولنا هو محض وهم؟؟

- هذا هو الواجب الأول: أن نتأمل العالم بهدوء ونقول إن كل مانراه ونسمعه ونتذوقه ونشمه ونلمسه هو من ابتداع اذهاننا فالشمس تشرق في رأسي والنجوم تشع في دماغي مع الأفكار وتملؤني الأغاني والنحيب، بوسع دماغي محو كل شيء وتخليقه.

- وماهو الواجب الثاني؟؟

- علينا أولا أن نتفهم تفاصيل الواجب الأول وكيف نؤدي مهمتنا،علينا أن نميز هذه الحقائق الإنسانية.

2. الانضباط أعلى أشكال الفضيلة

ولأنك جمعت في دمك بين النار والتراب - بين أسلافك القراصنة الدمويين من جهة والدك واجدادك المزارعين المنكبين على الأرض والبذور في انتظار المطر من جهة أمك - كيف انعكس هذا المزيج المتناقض على واجباتك لعبور الهاوية؟؟

- كان واجبي أن أوفق بين هذين المتناقضين، أن اسحب الظلمة السلفية من أعماقي وأحولها بكل طاقتي إلى ضوء ولهذا ساحدثك عن الواجب الثاني الذي ينبغي للانسان أن يهيئ نفسه له كي ينجو قليلا: أن يعبر الهوة المظلمة إلى النور، سيدتي تذكرين أن الواجب الأول هو أن نؤمن بأن مانراه هو محض وهم من صنع أذهاننا.

- أجل أن لانصدق مانشم ونسمع ونرى لأنه من ابتداع أذهاننا.

- نعم فداخل القيود التي تكبلنا يكون العقل هو الملك ولاتوجد قوة أخرى تنافسه في مملكته، فإذا عرفنا القيود وصارعناها وأخضعناها، عندئذ نجبرها على أن تصبح أداة لعقولنا، انظري إليّ أنا كائن بريّ ابتهج بالنباتات والحيوانات والإنسان والآلهة وأعتبرها أولادي فيجتمع الكون كله حولي ويلحق بي.

- ألاتشعر بـأنك تفرط في اللعب بهذا؟

- أجل أشعر بعبثية اللعبة التي بلا نهاية فأقيد نفسي إلى عجلة الضرورة الملزمة، فيدور الكون حولي مرة أخرى،حياتنا كلها لعبة صراع.

- كيف بوسعك السيطرة على هذه التحولات الذهنية وعلاقتك بأشياء الحياة؟

- بالانضباط، الانضباط هو أعلى أشكال الفضيلة، أنا كائن منضبط وإلا ماكنت لأنجز ما أنجزت مع أنني كنت اتوسل الى الله أن يمد في عمري عشر سنوات أخرى فلدي الكثير مما لم أقله بعد. بالإنضباط تستطيعين موازنة الرغبة والقوة فتثمر جهودك.

- هذا كله يقع في مدى الواجب الأول، فما هو الواجب الثاني الذي تراه مهما لنعبر الهاوية؟

- أن لا أتقبل الحدود وأتألم وأن لاتستحوذ المظاهر عليّ فأختنق، الواجب الثاني هو أن أنزف في هذا الألم وأعيشه بعمق، العقل صبور وبوسعه المناورة ويحب اللعب والمخاتلة، أما القلب فإنه يغدو متوحشا ولايتنازل للمشاركة باللعب، إنه يندفع بقوة ويمزق أغلال الضرورة.

- وماذا تصارع في هذه الحالة والقلب نافر متمرد؟

- أصارع لأخطو وراء الكائن اللامرئي الغارق في الوحل فيتعالى صوت من أعماقي: احفر فماذا ترى؟؟ أرد: أرى رجالاً وطيوراً وأشجاراً وأحجاراً.

أحفر أعمق فماذا تشاهد؟ أشاهد أفكاراً وأحلاماً ووميض ضوء..

أحفر أكثر عمقاً فماذا تجد؟؟ لاأرى شيئاً، ليل ساكن ثقيل كأنه الموت، لعله الموت.

أحفر عميقاً أكثر وأكثر، فماذا أمامك؟ لا أستطيع اختراق الحاجز المظلم وأسمع أصواتاً وبكاء، أسمع رفيف أجنحة على الضفة الأخرى، نحيباً ورفرفة أجنحة.

لا تبكِ، لاتبكِ، ليست على الضفة الأخرى: الأصوات والأجنحة هي قلبك..

- إذن أيها الإغريقي، تقول أنّ القلب هو وسيلتنا لمعرفة أنفسنا والعالم؟

- أجل هو جوهرنا المقاتل الذي لايستسلم أبداً.

- هل نقصي العقل نهائياً وهو ينادينا ويتساءل لماذا نبدد أنفسنا وحياتنا في ملاحقة المستحيل؟ لابد أن نعترف بحدود إمكانات الإنسان ونستجيب للعقل.

- لا ياسيدتي، فثمة صوت آخر في أعماقنا، إنه القوة السادسة، صوت يقاوم ويصرخ: لا، لا، لاتعترف بالحدود، دمّرْ الحدود والعوائق، انكر ماتراه كل لحظة وقل: الموت غير موجود وواجبي أن أعتلي المسرح وأتدخل بمجريات العالم.

من أنت؟؟

- أنا الدرويش صانع العجائب الذي يجلس ثابتا على مفترق طرق الحواس ويراقب العالم وهو يولد ويفنى..

3. كلمة سر الحياة: لنتحد، لنوحد قلوبنا

أيها الاغريقي المنبثق من الأوديسة كجواد جامح، ها أنت تخبرني بأنك في لحظة ما تستحيل درويشا متأملا، تجلس على قارعة طرق الحياة وتتأمل ولادة العالم وفناءهُ، تراقب الرعاع وهم يهتاجون ويصرخون ويدمرون معالم الحضارات وتود أن تبوح بكلمة السر لرفاق حياتك، تقول إن لديك كلمة سر مثل جميع المتآمرين، هلّا همست لي بها لأكون من فئة المتواطئين معك؟

- لنتحد، لنمسك بعضنا بشدة، لنوحد قلوبنا، لنخلق للأرض دماغا وقلبا ونمنح معنى إنسانيا للصراع الخارق المتواصل ونتألم ثم نبتهج معا، كما قلت لكِ: الألم واجبنا الثاني.

- وماهو الثالث أيها الناسك الأبيقوري؟؟

- إنه الأصعب، وليس بوسع الكثيرين اجتياز امتحانه، قلت إن العقل يكيف نفسه ويريد أن يحفر الأعمال البطولية على جدران زنزانته: الجمجمة ويترك أثرا للزمن القادم ويرسم على أغلال زنزانته أجنحة الحرية..

- وما دور القلب في هذا الواجب؟؟

- القلب يقف عاجزا لبرهة، ففيه صرخات إيروسية، وثمة أيدٍ من الخارج تضرب بقوة على جدران زنزانته فتمتلئ روحه بالصيحات والأمل ويرقص وهو يصلصل بأغلاله متوهما أنها أجنحة ثم يسقط جريحا محفوفا بالمخاوف الكبرى..

- فماذا سنفعل إزاء محنة العقل والقلب معا؟؟

- نفهم اللحظة المؤاتية، لحظة النضج ونمضي قدما ندع العقل والقلب وراءنا.

- تترك العقلانية والنظام وصيحات القلب المتشهي المفتون وتمضي قدما؟؟

- أجل، لأنني أصنع الإغراء الأخير: الأمل وهو الواجب الثالث لعبور الهاوية، العقل والقلب يقيدانني إلى الحدود، أحرر نفسي من الرضا بمايقوم به العقل من وضع الاشياء في نظام واتساق وأحرر نفسي من هلع القلب الذي يرجو العثور على جوهر الأشياء.

- وماذا بعد هذا التخلي وعصيان الرضا؟؟

- تعلمين أننا نواصل الصراع لأننا نحب التفوق، نغني رغم أنه لاوجود لمن يسمعنا، ولا أحد يدفع أجورنا، نكتب الشعر لأنفسنا ولانعمل للآخرين، نحن أسياد بساتين العالم، البستان ملكنا، نحرثه ونشذب شجره ونجمع غلاله ونعصر أعنابه ونحتسي خلاصة خمرها، بمعنى عندما ننسى الحدود نستطيع فعل المستحيلات..العقل والقلب يقيدانا.

ماذا بوسعنا أن نفعل آنئذ؟؟

- نفعل مانشاء، نرقص ونغني ونبكي ونعشق وتتولد لدينا الأفكار والأحلام، نعمل كلّ شيء، نحرث، ونروي الشجر ونقطف الغلال ونعصر الخمر، كل ذلك شيء واحد طالما نحن أسياد البستان، أسياد حياتنا..أغني وانا أكدح ثملا بما سيأتي، بما سأعصر من خلاصات العنب.

- وماذا ستقول لنا بعد حفل الكدح والحلم بالنشوة القادمة؟؟

- اتركوا جميع الأشياء في كل لحظة، ثم ثبتوا أبصاركم بهدوء وشغف على جميع الأشياء وقولوا لن تستعبدنا الأشياء مرة أخرى أبدا..لاتسألوا إلى أين نحن ماضون، ليست ثمة بداية ولانهاية لاتوجد

إلا اللحظة الحاضرة، فلنعشها بكثافة وعمق وإنجاز، فلنحياها بالمرارة والألم والبهجة والشغف، فنتمتع بكل ذلك..

- هل نستسلم؟

- لا، بل نسلم أنفسنا للحب والألم والصراع وحينها سيغدو العالم اكثر سعة وامتدادا وأبعد من حدود العقل وتشهيات القلب الإيروسية..

- وماذا نفعل بالجسد؟

- انظري إلى كل الأجساد، إنها ستتعفن وتفنى، وليس ثمة من خلاص، كوني قلقة وعيشي وافرحي واحزني واتركي خطيئة الرضا ولاتقتنعي واخرقي العادة دوماً.

4. لست الضوء، أنا الليل

تكرر فكرتك عن الهاوية المظلمة التي أتينا منها وعبرنا ومضة الضوء التي تسمى حياة في كتابيك: «الحديقة الصخرية» و«تصوف» -عندما قرأت الكتابين أدركت أهمية فكرتك عن «عامل الهاوية» لفهم لعبة الحياة ومواجهة تحدياتها بين الظلمتين، إنها فلسفتك الخاصة للقيام بواجباتنا الثلاثة: الإقرار بالوهم ومكابدة الألم واجتراح الأمل، وجدت فكرة الكتابين متداخلة باستثناء رحلتك الى اليابان والصين في الحديقة الصخرية، سمعتك وأنت تتابع مسيرتك بين معابد اليابان وحدائقها المتقشفة بصخورها ورمالها وكهنتها الصامتين، سمعتك تهمهم: خائف من الكلام، أزين نفسي بجناحين مزيفين، أصرخ أغني وأبكي لأغرق صرخة قلبي العنيدة..

- صدمني اتصالي باليابان، صدمنى الصمت المهيمن على معابدهم ورقصهم الطقوسي وقلوبهم، وجدتهم يحيون في الصمت ويشعرون بالعار من صحبة الجنس الأبيض ويقمعون الصرخة في أعماقهم، بينما كنت أطلق صرخات عرقي الإغريقي وأهتف أمام الكاهن:

«لست الضوء، أنا الليل، لكن ثمة لسان لهب يطعن أحشائي ويلتهمني، أنا الليل الذي يلتهمه الضوء.."

.- وجدتك تتقلب بين حالات متناقضة من التعاسة والسعادة واليقظة الحادة واضطراب الروح، ترى ما معنى السعادة لدى متمرد صارخ في البرية مثلك؟؟

- السعادة هي أن نعيش كل أنواع التعاسة..

- ومامعنى الضوء الذي يسكن قلبك؟؟

- أن أرى بعين غير معتمة جميع الظلمات..

- وكيف تقوى على ذلك..؟

- استبقي دماغي مستيقظا، رائقا وأطلقه إلى المعركة بلا رحمة حيث بوسعه التهام ظلمة الجسد بضوئه، ليست لدي ماكنة أخرى غير العقل لأحول عتماتي إلى ضوء..

- وقلبك المتمرد، ماهو دوره في معركة الضوء والظلمة؟

- أستبقي قلبي متأججاً جسورا وقلقا، وفي قلبي أشعر بجميع الإضطرابات والتناقضات، مباهج الحياة وأحزانها، لكنني أصارع كي أخضعها لإيقاع متفوق كإيقاع العقل، وأقسى من إيقاع قلبي، أخضعها لإيقاع الكون المتسامي..

- تقول إن ثمة صرخة تنطلق من أعماقك، ماهي هذه الصرخة المجلجلة؟؟

- إنها ليست صرختي، بل هناك أسلاف لايحصون، هناك موتانا الذين لايرقدون في التراب، لقد أصبحوا طيورا وأشجارا وهواءً ونحن نجلس في ظلالهم ونتغذى على لحمهم ونستنشق أنفاسهم..

- سمعتك تردد: لست وحيدا، لست وحيدا، من أين ينبثق هذا النداء؟

- من سلالتي الماضية، وعليّ أن لا أرتعش خوفا، لأنني سأهين أسلافي، لست جسدا ماثلا في الحاضر ويائسا، خلف قناعي الطيني يكمن وجود عمره ألف عام: أهوائي وأفكاري أقدم من قلبي ودماغي.

- أفكارك، إبداعك - أصداء الأوديسة التي تتردد في أعماقك - كيف ترى الإبداع جنونا أيها الكريتي المقاتل؟

- أليس الإبداع دائما فقدانا للتوازن من أجل إنجاز توازن أكثر سموا؟ حقا إن الأبداع الحقيقي هو فعل جنون..

- أراك تزهو بجنسك الإغريقي وبانتمائك الأوروبي؟

- هذه نقيصتنا، سألت شيخا صينيا مهذبا عندما كنت في الصين: هل أنت بوذي؟ فقال لي: آه منكم أيها البيض، تحتاجون دوما للتصنيفات، توجدون فقط بقدر ماتنتمون إلى شيء ما أو شخص ما، رؤوسكم مليئة بالأدراج والملفات، بوذي، مسلم، مسيحي، أبيض، أصفر، أسود، كونوا بأنفسكم، أنا بوذي وأحترم كونفوشيوس وأتبع وصاياه لكن حقيقتي تكمن في «التاو» الذي يتجاوز كل تعريف.

5. كافحت بأقصى ما أستطيعه لبلوغ ما لا أستطيعه

وجدتك تهمهم وأنت تنصتِ إلى الشيخ الصيني البوذي: أنا أعرف التاو الذي كتبه لاوتزو، ولكن أسلافي اليونانيين قالوا قديماً: إن الروح تمرين مشترك للحواس الخمسة، فأنا روح كهذه، حيوان بخمس مجسات تداعب العالم، حواسي مجساتي لاكتشاف العالم.

- أنت المخلوق الذي تنصل من القرد ذات صباح ووجد نفسه عاريا بلا حماية، بلا أنياب أو مخالب لا يحمل سوى نار متقدة في رأسه الهش.

- أجل، ها أنا ممثل البشرية وسلالة الإنسان بأجمعها تصرخ من أعماقي، ففي داخلي تصطخب وتتصايح أجناس لا تحصى من البشر، بيض وصفر وسود، ولكني تحررت منها، تحررت من السلالة كلها، جاهدت كي أحس بالانسان المكافح في كل مكان، وأتأمله كيف تفوق على سلفه الحيوان، وكيف يناضل ليبقى واقفا بقامة منتصبة، وكيف ينظم الصرخات العشوائية ويحمي الشعلة المتوهجة ويحافظ على العقل سليماً بين عظام رأسه.

- هل تشعر بالشفقة على ذلك المخلوق؟

- أشعر بالأسى والحنان والمشاركة وأحاول أن أفهم ما الذي يريده في مسافة الحياة بين هوة الرحم المظلمة وهوة القبر.

- وهل توصلت الى خلاصة عن هذا الكائن؟

- أظنني فهمت شيئا عندما تحررت من عبء السلالة كلها فقررت أن لا أطمع بشيء ولا أخشى شيئا، لقد تخطيت العقل والقلب وصعدت

الى أعلى فأنا حر تماماً، وهذا ما أبتغيته ولا أبتغي شيئا آخر عـداه، لقد كنت أطلب الحرية وحدها.

وبماذا توصي الكائن البشري كخلاصة؟

- أتمنى أن نغادر الأرض لا كعبيد ممزقين ومجلودين، بل كملوك ينهضون عن المائدة وهم ليسوا بحاجة إلى شيء بعد أن أكلوا وشربوا حتى الإمتلاء ولكن القلب سيظل يخفق داخل الصدر ويقاوم صارخاً: إبقَ قليلا..

- وقلبك أيطمح إلى تخطي كل شيء لينال كل شيء؟

- أوصاني جدي حين تراءى لي في حلمي قائلا: توصّل إلى ما لا تستطيعه، أي لا تستسلم للحدود، امضِ قدماً..

- وهل فعلت، هل كافحت لقهر مستحيل لا تقدر عليه؟

- كافحت بأقصى ما أستطيعه لبلوغ ما لا أستطيعه، وجعلت هذا واجبي، ولا أدري إن كنت نجحت أو فشلت، لكني لم استسلم للحدود المفروضة على البشر.

- تذكر في ما تذكره أن ثمة دم عربيٌ امتزج بدمك الأغريقي، وتروي ان الامبراطور الروماني نيقفوروس الثاني فوكاس استعاد جزيرة كريت من العرب في القرن العاشر ووزع العرب الناجين من المعركة على قرى عديدة أسموها بارباري وفي إحدى هذه القرى عاش أجدادك..

- نعم إن في آبائي جذورا عربية فهم كالعرب فخورون وعنيدون، معتدلون في طعامهم ومعادون للجميع ومرتابون، كانوا يخزنون حبهم وغضبهم لسنوات عديدة ثم فجأة ينفجرون، كانت العاطفة أهم شيء لدى أسلافي، ولكنهم يكتمون الغضب والغيظ وبينما هم موشكون على الاختناق، يتحولون فجأة إلى قراصنة أو يفصدون دمهم، وقد يقتل أحدهم المرأة التي يحب خشية أن يصبح عبداً لحبها.

- ماذا ورثت من هؤلاء الأجداد؟

- جاهدت لتحويل ذلك الثقل القاتم إلى روح، حولت أسلافي الشرسين إلى روح وطمستهم وأخضعتهم إلى امتحان علوي..

وهل بقيت ثمة أصوات تهب في أعماقك من اؤلئك الأسلاف ذوي الدم العربي؟

- نعم فما زال قلبي يخفق جذلا كلما شاهدت شجرة نخيل.

6. كازانتزاكي مع عظماء القرن 19:
تولستوي ونيتشه ودوستويفسكي

يفرد لك كولن ويلسون مقالا مفردا ويصفك بأنك من سلالة عظماء القرن التاسع عشر ويضعك مع دوستويفسكي وتولستوي ونيتشة لوجود روابط كثيرة مع هؤلاء العظماء الثلاثة الذين تحبهم، وذلك في كتابه:

The Strength to Dream : Literature and the Imagination

وهو الكتاب الذي ترجم الى العربية بعنوان (المعقول واللامعقول في الأدب الحديث) ويتحدث عن صبرك الفريد في ترجمتك لقصيدة الأوديسة لليونانية الحديثة وأنك أعدت كتابتها سبع مرات مابين 1924 و1938فأذهلت القصيدة النقاد، بماذا تعلق؟

- ذلك أمر ممتع وقد قرأت ماكتبه ويلسون حين وضع إسمي بين عظماء القرن التاسع عشر بخاصة هؤلاء الثلاثة الذين أعشقهم، أما عن الأوديسة فقد قيل الكثير عن هذه القصيدة التي كتبتها بإملاء جديد للغة اليونانية الحديثة وبلغت أبياتها 33333 بيتا وأثارت تعليقات مختلفة وكتب عنها صديقي بريفياكي كتابا بعنوان «كازانتاكي واوديسته» وهو كتاب بديع ومن أجمل ماكتب عن الأوديسة.

- يقول كولن ويلسون إن أوديسة كازانتزاكي تخلق ذلك التأثير الموسيقي العظيم الذي قيل أن رواية «الحرب والسلام» قد أوجدته، هل ثمة حقيقة في هذا التوصيف؟؟

- رافقتني الأوديسة طيلة حياتي كمشروع عمر وهي تمثل رؤيتي لرحلة يوليسيس ومكابداته، ولطالما نظمت فصول حياتي معها وكانت تسري مع أنفاسي كسيمفونية عظيمة توازن خطواتي وتحولاتي وأعمالي، يسرني أن يكون لها مثل هذا التأثير الموسيقي الهائل الذي كان لـ «الحرب والسلام"

.- يخبرنا كولن ويلسون أن لديك رواية غير منشورة إسمها «إنه يقول، إنه يريد الحرية، اقتله» ويصف رواية «الكابتن ميخاليس» بأنها إحدى روائعك إذ يقارنها برواية «الحرب والسلام» لتولستوي ويقول إنها مهمة لمن يريد فهم كازانتاكي..

- «إنه يقول، إنه يريد الحرية، اقتله» رواية توزعت على أعمال عديدة، أما رواية «الكابتن ميخاليس» فإن عنوانها في البدء كان «أبي»، الكابتن ميخاليس يماثل أبي في نواح عديدة، وهي رواية عن ثورةٍ فاشلة قام بها الكريتيون ضد العثمانيين الذين صبوا ظلمهم على أهل جزيرة كريت طوال قرن من الزمان.

- يصفك كولن ويلسون في هذه الرواية بأنك أعظم الفنانين إطلاقا منذ تولستوي لكنك لاتدين القتل والحرب كما أدانهما تولستوي!

- إنّ حياة الكريتيين والمظالم التي تعرضوا لها من العثمانيين جعلتهم في ثورةٍ دائمة ومواجهاتٍ دموية من أجل حرية بلادهم فالكابتن ميخاليس ورفاقه كانوا يفضلون الموت على تسليم أنفسهم للأتراك وهذا واقع مختلف عما حدث في روسيا.

- يرى ولسون شبهاً بين بطلك في «المسيح يصلب من جديد» والأمير ميشكين في «الأبله» لدوستويفسكي.

- ربما لأن كليهما ضحّيا بنفسيهما من أجل خلاص الآخرين.

- نعرف أن حكومة اليونان اليمينية حرمتك من تجديد جواز سفرك وأنت منفي في فرنسا - وفي الوقت الذي كان أدباء اليونان يتآمرون

ضدك - رشحك أدباء النرويج بالإجماع لجائزة نوبل وأبدت النرويج استعدادها لمنحك جواز سفر وجنسية نرويجية لكنك رفضت.

- اعتدت أن لا أطلب مساعدةً من أحد فضلًا عن تمسكي بجنسيتي اليونانية مهما حصل.

- يرى ويلسون إنك واجهت ظلما كبيرا عندما لم تنل جائزة نوبل بفارق صوت واحد لصالح الكاتب الفرنسي (البير كامو) سنة 1957 والذي كتب الى زوجتك إيليني أنك تستحق هذا الشرف مائة مرة اكثر منه؟

- لقد ارسلت له برقية تهنئة في آخر لحظات حياتي.

7. سعادتي هي الزهرة الأسمى ليأسي

حياتك متطابقة مع ما تكتبه حد التداخل والتمازج التام - على النقيض من معظم الكتّاب الكبار- ونعلم أنك لم تتحول عن مواقفك بالرغم من جميع المصائب التي حلت بك، ولطالما لاقت رفيقة حياتك هيلين أو إيليني- كما تنطقونها باليونانية - كثيرا من العنت بسبب إصرارك على ملاحقة المثل الأعلى الذي وضعته نصب عينيك وكنت قد اتفقت معها على ميثاق الأيام العشرة التي تلتقيان فيها كلّ عام بينما تنوب الرسائل الكثيرة عن اللقاء وتستغرق في الكتابة وحيداً مثل أيّ ناسك في صومعتك، ولم تتزوجها إلا عندما أصبحت وزيراً للثقافة سنة 1945 وكنت تقول لها:

«بما أنه ليست هناك نقطة نهاية لشيء أبدأه، سأظل وفياً لك الى الأبد رغماً عنك» وتعترف هيلين «بأنها أحبت هذا الرجل الفاتن الممتلىء حكمة وأنها أينعت تحت ظلال شجرته المعرفية وأحبته لأنه لم يسعَ أبداً لإثبات تفوقه وترفّعه ولأنه علمّها أن لا تخجل من ضعفها».

- لطالما تمسكت ايها الأغريقي بالمُثل العليا للقرن التاسع عشر وكنت تجهد في البحث عن المثال وترتاد دروبا صعبة وتحج الى مناطق وعرة، وترتضي العيش على كسرة خبز وكأس نبيذ وثمرة من ثمار الأرض ورسالة من ايليني حسب.

- يقول كولن ويلسون أنك كنت طوال حياتك تخجل من العيش على التأليف وكنت تميل الى الحياة العملية العنيفة، واعتبر ويلسون هذا الموقف نقصاً في النضج!

- أظنني كنت في منتهى النضج وكنت أجهد نفسي كي أعيش في آن واحد كبرياءَ كل جهد وخلود في كل لحظة: كنت أكتب ليل نهار منعزلا ومتمتعا حد الموت بكل كلمة أدونها وهذه هي مكافأتي - كولن ويلسون يتعامل معي باعتباري لا منتمياً، وأنا متعدد الانتماءات وكثير الضلالات، أجل كنت أخجل من العيش على التأليف لكنني كتبت عدداً من الكتب المنهجية المدرسية وعشت فترة على ريعها الضئيل وأنا مستوحد في مدينتي هيراكليون في كريت، ولم أكن خجلا من ذلك..

- تقول إيليني إنك كنت تنام قليلا وتقوم قبيل الفجر تقطّع أبيات الأوديسة وتعددها على أصابعك وتتركها برهة لتترجم طاغور إلى اليونانية حتى خلال أيامكما العشرة التي تلتقيان فيها أي جنون هذا؟

- كانت الحرية بالنسبة إلي دائما هي ثمرة الإدراك الإنساني الأشد نبلا، وآخر أفعال الحب، كنت احب إيليني أكثر حين أعمل وهي تنام قربي..

- متى كنت تشعر بألق الحب كاللهب يطويك جسداً وروحاً؟

- عندما أرى روحاً باسلة - كمثل روح ايليني - يتملكني إحساس مدهش، أضطرب وأرتبك وأشعر بالجوع والحب معا، بالجسد والروح معا، أنا لا أهتم بالثروات والهدف والخلاص، أهتم بالحاجة إلى تأجيج الشرارة، تلك القوة اللاواعية التي تنطلق من أعماقنا.

- أجد بعض تناقض في اعترافك بأنك لا تجد السعادة إلا في قمة اليأس الأكبر.

- ذلك لأنني ثابرت من أجل الصعود وملامسة القمة وكان كل شيء حولي منظماً ضدي، وعندما رأيت كل هؤلاء الأعداء، ضاعفت استعدادي وشعرت بالنشاط والتوثب والحقد والصمت وأخيرا النصر. يظن معارفي وأصدقائي أنني سعيد لأنهم يجهلون كم من الصراعات خضت لأبلغ النصر ولا يعرفون أن سعادتي هي الزهرة الأسمى ليأسي وكرهي لكل ما هو أرضي..

- كيف تصف نفسك؟

- لست متمرداً رومانسياً ولا متصوفاً منعزلاً، أنا عاشق الحياة والأرض والإنسان.

8. إننا نسير نحو قرون وسطى جديدة:
إنطلق التوحش وعلينا أن نوقد شموعنا

تقول: ما العمل؟ لقد وصلنا القرون المتوحشة الجديدة (كان ذلك قبيل الحرب العالمية الثانية) ما العمل؟ أعراض القرون الوسطى ظهرت - كم تنطبق كلماتك ايها الاغريقي - على حالنا في منطقة الشرق الاوسط راهنا، تقول: ما العمل؟ لابد أن نحلم ونخطط من أجل حضارة المستقبل، الكتابة شمعتنا المضيئة الصغيرة وعلينا أن لاندع شعلتها تنطفئ..

تقول للحبيبة ايليني وهي بعيدة في أثينا وأنت معتزل في جزيرة ايجين أنك تكتب ليل نهار وتضيف أناشيد جديدة للأوديسة وتكتب المسرحيات وتدون فصولا تُنشر تباعا في الصحافة عن امبراطورة النمسا، تخبرها أنك لن تعود الى أثينا إلا لتوقّع الكتاب حين يصدر «كانت ولاتزال عادة توقيع جميع النسخ من قبل الكاتب سارية في اليونان لحفظ الحقوق» تقول لها: إن الكتابة أمر مبهج،وتنصح ايليني أن تكتب عن الأرواح العظيمة: كم أنت فرحة ومبتهجة وأنت تؤلفين كتابك عن «غاندي»، عندما تنتهين منه سوف أساعدك على اكتشاف روح عظيمة اخرى لتكتبي عنها وتحتفظي بالفرح.

- هل حقا أنك لم تكن تحب تبديد جهدك في أعمال صغيرة وأنك عمدت إلى كتابة رواياتك بأبعاد ملحمية؟؟

- أجل، كنت أقول لابد أن نترك وراءنا أعمالا مهمة، لكني أعترف لك

أنني كنت أمضي أسابيع في تأليف الكتب المدرسية من أجل الحصول على مال قليل، وأعتبرُ تلك الكتب إسهاما عمليا في تعليم الأطفال، أضع أمامي تجربة لينين فهو عندما كان يروم الاستراحة كان يترجم القواميس الروسية الى لغات اجنبية او يمضي وقت راحته في تعلم لغة جديدة..أما أنا فكنت أدع روحي تتوغل في بئر أو في لجج الروح الانسانية عميقة الغور..

- عانيتم كثيرا أيام الحرب من المجاعة ونقص متطلبات الحياة؟؟

- كنا نصنع خبزنا بأيدينا ·ويزودنا اصدقاؤنا الاوروبيون بقطعة صابون، لكننا أصبنا بالهزال لسوء التغذية، وقد حصلت على صفيحتين من زيت الزيتون ثمنا لترجمتي كتاب «الالياذة» وسمع جورج باباندريو المعارض للحكم الملكي ورئيس الوزراء لاحقا - بالأمر واستشاط غضبا على الناشر المليونير الشهير الذي أهانني واستغلني الى هذا الحد..

- كنتما أنت وإيليني قلقين من أجل العيش، المال شحيح والنشر محدود فكيف واجهتما الضائقة؟؟

- كنت أكتب مقالات لصحيفة اسبانية، وفصولا روائية لصحيفة يونانية مقابل مبالغ هزيلة، وقلت لإيليني: لاتقلقي من أجل المستقبل، فلا قيمة عمليةً للقلق، كل مانفعله بالقلق هو إفساد حاضرنا: فالمستقبل قد لايجيء ومن الأفضل استغلال اللحظة الراهنة وأفضل مانفعله إنجاز عمل جيد.

- كان قلقكم مستديما ومعاناتكم أيضا، ما الذي كان يثير القلق غير العوز المادي؟

- الحرب كانت تقترب والخطر وشيك وكان علينا اختيار مكان نلوذ به قبل أن ينطلق إعصار النار.. كنت أترك العمل في الرواية والأوديسة حتى أتفرغ لكتابة مقالات وأكتب طوال النهار وأقوم باستنساخ المقالات بيدي لأرسل بعضها الى مصر واثينا.

- تقول إيليني أنك كنت غاضبا جدا ومهموما في تلك الفترة؟؟

- كانت اليونان تنحدر نحو الهاوية ولابد أن أشعر بالقرف والغضب فالأجواء فظيعة ولايمكن وصف دناءة الحكام ولؤمهم وفسادهم - وكانت هناك روحان تتصارعان إحداهما سيئة.والأخرى أسوأ منها واحداهما تنقضّ على الأخرى ولا ضوء في الأفق ولولا دانتي وعوليس وإيليني لاختنقت غضباً.

9. سأصعد الجبل ولن أنزل أبداً

ذات صباح مفعم باليأس والقنوط من العالم والغضب من هجمة معظم أدباء بلدك ضدك من أجل افتراسك، كنت تردد:

- ليس بيني وبين هـؤلاء البشر قواسم مشتركة:لانحتاجهم ولايحتاجوننا ولكنهم يحاصروننا لنستسلم، حتى الظروف الطبيعية تعادينا، فلا الهواء ولا الطموحات ولا الفكر الانساني تشكل مناخنا، نعم، هذه الهموم كانت تأكلني سرا، لذلك أعلنت: سوف أصعد الجبل ولن أنزل أبدا..

- تقول إيليني: قبل الحرب العالمية الثانية لم يكن الأدباء اليونانيون البارزون يكسبون شيئا من كتاباتهم تقريبا، وكان كازانتاكي المنعزل في جزيرة «إيجين» يهب كتبه للناشرين أكثر مما يبيعها وحتى عندما يبيعها يتضايق من المطالبة بحقوقه.

- كنت أكتب كتبا كثيرة، وليس لدي في اليونان ناشر واحد بسبب محاربتهم لي بينما لدي ثلاثة ناشرين في فرنسا، لذا كتبت روايتي عن كريت بالفرنسية وجاءت بخمسمئة صفحة وهذا ما اضطررت إليه: أن أكتب بلغة أجنبية أنا عاشق لغتي اليونانية ومع ذلك أواصل الكتابة ليل نهار لأنني سأختنق وأموت إذا لم أواصل العمل، أكتب أناشيد الأوديسة ومسرحية عن الصين ورواية في الوقت ذاته، ولم أتوقف عند إحساسي بالخديعة من قبل الناشرين فقد أخبرني ناشر كتابي عن اليابان أنه سيسدد حقوقي عندما يسترد تكاليف الطباعة وسوف ينسى وسأخجل أن أطالبه.

- تتساءل بمرارة: هل يمكن تفسير هذا الإستسلام للإنخداع المستمر بنزعة قداسة خفية لدي؟ هل هذا هوالسبب لهذا الإنخداع الدائم؟؟

- لا اعتقد، إن الدفاع عن الحقوق يحتاج إلى خوض صراع وهذا يؤدي إلي ضياع الوقت والروح..

- كنت تردد دوما أن الوقت هو الروح، والأفضل أن تخسر كل ماتبقى من الأشياء وتكسب الوقت والروح..

- لأنني لو بددت الوقت والروح لفقدت التوازن الذي يعزز حالتي الإبداعية، إنها معضلة الحياة والإبداع.

- هل تؤمن باللعنة وسوء الحظ في علاقتك مع الناشرين سواء في بلدك أو في الخارج؟؟

- حدثت معي حالات جعلتني أؤمن أن اللعنة هي نوع من سوء الحظ الذي لازمني تلك الفترة مع الناشرين، فقد صادف أن أفلس الناشر الفرنسي(فوركاد) الذي كان ينوي نشر كتابي (تودا- رابا) وتلاه الناشر (هومنت) بإعلان إفلاسه، ثم نجا الناشر (رينو دو جوفنال) من موت شنيع بعد أن اتفقنا على نشر الكتاب لديه، ثم اشتعلت النيران في أفضل ستوديو سينمائي في فرنسا عندما اتفقنا على كتابة سيناريوهات له، واختفى الناشر روبير فرانس في أوج شبابه وكان يأمل نشر كتاب (تودا - رابا).

- كل هذه الاحداث توالت على كتاب واحد؟؟

- وفي هذه الأثناء أيضا تراجع الناشر اليوناني عن اتفاقه معي لنشر القاموس وبعض الكتب التي طلبها مني لأن عددا من الأدباء الحاسدين تبرعوا ليبرهنوا له أنني لا أجيد الفرنسية وترجماتي سيئة..

- يا لسوء الحظ الذي لازمك تلك الفترة، تذكر إيليني أنك كنت تشجع الأدباء الشباب، وتضيف أنك كنت تفرط بالتسامح مع الكتّاب الشباب؟

- قلت لإيليني: أنا أيضا كنت في سنهم أكتب بشكل رديء، ليس علينا إحباطهم وهم يجهدون في الكتابة ولديهم شغف ابداعي.

- وماهو هدف شغفك الجامح للكتابة؟

- هدفي ليس المجد أوالشهرة ولاحتى الرفاهية والثرثرة المطمئنة بل تحويل الطين الى صرخة.

10. نازيون وفاشيون وجياع

من عزلتك في جزيرة ايجين تكتب لحبيبة حياتك ورفيقة دربك ايليني. تكتب لها وهي تناضل من أجلك وخلاص اليونان من الإحتلال الفاشي والنازي، تقول لها: هنا برد قارس لكنني لا أوقد نارا فلا يوجد فحم، نأكل الهندباء، وقد نحصل أحيانا على كسرة خبز، تخبرها أن موضوع (إتحاد المحررين أو الكتاب) وانتماءك اليه أمر في غاية الأهمية بخاصة في زمن مجاعة الحرب، وكأنك تهمس: يقال أنهم سيقدمون لنا قرضا بستة آلاف دراخما - وهذا من شأنه أن ينقذنا.

إيليني تكتب لك: رفض المحررون قبولك في صفوفهم، لكن (جورج باباندريو) لم يتوقف عن مساعدتنا، بعد بضع ساعات من رفض المحررين لك حصلت على مساعدة اثنين من كرماء اليونانيين ومعجبيك، مانوليس بيناكس ابن رئيس بلدية اثينا ومؤسس متحف مانوليس، والثاني الجراح الشهير سارونيس المولع بالكتب النفيسة، أتت منهما هبة مالية ومواد غذائية.!

وللمرة الأولى تحصل على مكافأة عن حقوق التأليف من عرض مسرحيتك (بروتوماستوراس) التي تحولت إلى عمل أوبرالي، تعترف أنك فرحت جدا بمبلغ المائة وثمانين ألف دراخما عن المسرحية المسكينة فبعد كل هذه الأعوام بدأت تثمر، وأخذت تتساءل: ترى متى تثمر مسرحياتي الأخرى؟ ليكن ذلك قبل موتي..

تقول إيليني: أدركت خلال أحداث حياتنا المشتركة أن هناك قانونا

ثابتا في وجودنا، فما أن تمنحنا يدٌ شيئا حتى تفتك به يدٌ أخرى قبل أن نتمتع به، سرقت خادمتنا صوفي هدية الدكتور سارونيس الغذائية وتركت خزانتنا فارغة..

تصمم على التقشف وتتحمل الجوع وتأكل الاعشاب والزبيب الباقي، ويأتي الانقاذ من رهبان كاثوليك: يسعدنا أنك وافقت على ترجمة حياة القديس فرانسوا الأسيسي من أجلنا لذلك سنتكفل بإطعامك من الدير. وأنت في خضم العوز والجوع تتنبه الى جمال الطبيعة بروح عاشق مستهام، وتكتب لها: تفتحت زهور الجيروفيلي فتضوّع أريجها مساء في البيت حتى ليختنق القلب وقد أزهر الصبار الذي لايزهر إلا كل اربع سنوات وأخرج زهرة عالية مثل شجرة - سأسعى الى تأخيره من أجلك حتى مجيئك.

عندما تفتحت زهرة الصبار بدأ انسحاب الجيشين الألماني والايطالي من اليونان، وقرر الحاكم المدني النازي لجزيرة ايجين احراق الملابس العسكرية وترك المؤن والأدوية وعندما علم السكان بالأمرهجموا على الكنوز واندفعوا في نشوتهم الى نهب مقاعد المدرسة والأبواب والكراسي وأخذوها معهم ناسين أنها ملكهم، - ترى كيف برأيك يحصل هذا الصدع وينهب الناس ممتلكات دولتهم أثناء الأضطرابات والحروب؟

- لاتفسير لدي فقد حدث الأمر تقريبا لجميع الشعوب قديمها وحديثها بخاصة في البلدان المحتلة انتقاما من الحكومات التي تواطأت مع الإحتلال وجوعت شعوبها، تحدث عندما تنهار القوانين وتتعطل منظومة القيم وينطلق الوحش القابع داخل الإنسان في معركة البقاء..

وبعد رحيل الفاشيين والنازيين ماذا حدث لكما شخصياً؟؟

- طرق رجلا الدرك بابنا وقالا هيا نمزح معكما فصرخت بهما ايليني: عليكما أن تتحدثا مع نيكوس بتهذيب واحترام.

قلت لها: لابأس جهزي القهوة فهما ضيفانا..

فصرخ بانايوتي الدركي: لانريد قهوة انتما شيوعيان هيا بنا.. أمس قتل الأنصار الشيوعيون أخي على الجبل فأقسمت أن أقتلكم جميعاً. حبسونا ساعات ثم حررونا ورفضت السيدات الأرستقراطيات المحسنات إعطاءنا حصة خبز كالآخرين لأن كازانتزاكي سبق وكان شيوعيا وهددوه بالإعدام.

11. ما أصعب عيش الكاتب مع الناس!!

تكتب لها «حبيبتي إيليني، أنا في غاية التأثر والحنان بسبب مواقفك العظيمة، لاأنسى نبلك ووفاءك وأنت تقفين إلى جانبي وتقاتلين مثل الربة أثينا ذات الخوذة اللامرئية والحربة المزدوجة والتي تهرع لنجدة البطل المعرض للخطر."

.بعد رحيل المحتلين يعيّنك الرئيس وزيرا للثقافة، ورسول سلام ويعتزم إرسالك الى الولايات المتحدة وبريطانيا والمكسيك للمطالبة بإعادة إعمار اليونان، ويمنحك حق اختيار مساعديك في مهمتك العصيبة: طلب مساعدة اليونان المخربة فتختار الشاعر انجيلوس سيكالينوس وزوجته «أنّا» فهو رجل حوار قادر على الاقناع وزوجته متحدثة ومفاوضة لبقة، فماذا عن إيليني؟؟

- من أجل قضيتنا المشتركة ولأجل أن تسافر معي بلا مشاكل قانونية الى الولايات المتحدة وتعينني في جميع المساعي والمفاوضات - قررنا أن نتزوج بعد ثمانية عشرعاما من المعايشة الحرة.

- وهكذا بدأت العمل بضراوة لتواجه وحشية الفئة الفاسدة التي تصدرت المشهد السياسي بعد رحيل قوات الاحتلال النازي والفاشي؟

- ليس بوسعي وصف الجهد والعذاب اللذين كنت أعاني منهما، فقد ارتمى الجميع عليّ كي أوفر لهم مناصب في الوزارة وخارجها، فكنت أتصل بالرئيس وأركض وأصارع من جهة لأخرى وأجمع الوثائق والأفلام والصورعن المجاعة والخراب الذي سببه الإحتلال لأقدمها

في رحلتي الى أميركا وبريطانيا وكنت أعمل منذ الصباح حتى منتصف الليل فيتصل بي مثقفون وشعراء يطلبون الانضمام إلى الاكاديمية أو يريدون التكريم بالميداليات والمكافآت والمناصب أو التكليف بمهمات شرفية، كانوا يركضون ورائي من مكان إلى آخر، وكنت أتعب وأعتبر كل فشل في مهماتي إخفاقا شخصيا لي، وكان انجيلوس يعاني ما أعانيه من تعب بسبب كل هذه الطلبات، ما أصعب عيش الكاتب مع الناس.

- وماذا فعلت وأنت وزير بلا حقيبة لمن كانوا يعانون المجاعة والعوز والوشايات؟؟

- كنت أبذل قصارى جهدي وأكتب الرسائل للرئيس لإنقاذ الآخرين ممن تعرضوا للوشايات والتهم الظالمة فقد تصدى بعض الكتاب لتلفيق التهم للآخرين، لا لشيء إلا لحسدٍ أو انتقام من شهرة متحققة.

- وهل نجحت في جميع هذه المساعي؟

- كنت أكافح بلا توقف لإنقاذ الأبرياء ومساعدة الجياع فقد كان جنسنا البشري في خطر ولابد أن نعمل جميعا لإنقاذه..

- لطالما كنت تردد أنك لست رجل سياسة.

- نعم كانت المهمة مستحيلة، فبعد جلاء المحتلين الألمان والإيطاليين، كانت اليونان مثل سفينة تغرق وكان القادة القادرون على رؤية الكارثة عاجزين أو جبناء بينما نظم الفاسدون صفوفهم من أجل السرقة وتقاسم الغنائم التي تنشط عادة بعد غرق السفينة.

- تكتب ايليني في إحدى رسائلها لك أنك لبثت تراقب الوضع المريع وتثور على عجزك الشخصي وعجز أصدقائك الإشتراكيين الذين منحوك شرف قيادتهم وبما أنك لست رجل سياسة فلماذا لم تسلك سبيل الزعامة الروحية؟

تجيب إيليني على هذا التساؤل بأنك لم تتوصل في أعماقك الى

العثورعلى الأسطورة الجديدة التي بحثت عنها طوال حياتك، لم تكن تعرف ما الذي عليك تقديمه - باعتبارك كاتبا - لهذا الشعب الذي تحبه والذي قامت طبقة فاسدة ومتوحشة باستغلاله بلا رحمة..

- أجل كنت أتساءل: هل ينبغي لي أن أبشّر بمثلٍ أعلى يفوق قدرات الإنسان من أجل إيقاظ القوة الصوفية والخصبَ في أرواحنا التواقة للمستحيل؟ لم أجد ذلك مجديا، وفكرت بالإستقالة واستقلت عندما تدخل الجنرال الانكليزي في سياسة بلادي.

12. وجاءت الساعة المباركة لفردوس العزلة

في ذكرى ميلادك تخصص اليوم كله لمحاسبة ضميرك وتقدم تقريرك الى الله عن مسيرتك المتوحدة وعما فعلته طوال عام انقضى من عمرك، تنظر إلى الماضي وتهتف «كلا، كلا، مافعلته غير كافٍ، لُقد بددت قواي وكان بوسعي أن أنجز الأفضل، لحسن الحظ أمامي عشرون سنة أخرى أعيشها لأنقذ روحي."

.تقول إيليني: كان نيكوس يصدق ذلك ويجد فيه عزاءً، وكنت أتوقع لحظات الوهن الدورية العنيفة والقصيرة التي تنتابه، وأعلم أنه بعد اليأس المضني يأتي الإنفجار الخلاّق.

كنت تردد دوما: تكفيني ورقة بيضاء وقلم ومتسع من الوقت وعزلة مكتملة وضحكات متبادلة مع شخص محبوب لتولد روائع أدبية جديدة..

رغم انهماكك في الترجمة والكتابة الإبداعية، تفكر بالمهاجرين من القرويين الأميين الذين طردتهم المجاعة والحرب من اليونان ووصلوا إلى أميركا فتقدم مشروع معهد للثقافة اليونانية من أجلهم..

- رفضت الحكومة اليونانية ذلك ووجد المهاجرون الفقراء أنفسهم في نوع من الرفاهية واللصوصية الفريدة التي أوجدها إله المال وكانوا يقولون ماجدوى أن يتعلم ابناؤنا لغة آبائنا؟..لا نريد أن نتذكر قرانا المخربة وفقرنا المخزي ولانريد سوى الإندماج في المجتمع الجديد، ماذا نفعل بلغة بلادنا؟؟

- عندما رفضت الحكومة فكرة المشروع - منعت في الوقت نفسه تجديد جوازك وأنت في فرنسا وأصبحت ضحيةً لدسائس عديدة من قبل بعض الأدباء، وصار النطق بإسمك خطرا في اليونان فأنت الكاتب المغضوب عليه.

- تحملت هذا الظلم ورفضت استجداء جواز لي من دولة أجنبية.

- كانت ثمة فكرة لترشيح كاتبين يونانيين لجائزة نوبل، أنت وشاعر صديق سنة 1947، ماذا كتبت لصديقك كاكريذس الذي دعي لإلقاء محاضرات في الجامعات السويدية؟

- قلت له: لقد بعثك الرب هذا العام الى السويد حيث يمكنك أن تتحدث عن حياتي وكفاحي الروحي، أعتقد أنه من العدل تشريف رجلين من اليونان بلغا ذروة النضج والعطاء، واستغرب الناس أن يسعى كاتب حر مثلي الى الجائزة، كنت أريد بعض استقلال مادي وأن لا أضطر لكتابة مالايرضيني تماما من أجل العيش، وأن أساعد أصدقائي وأسافر لآكتشاف هذه الارض العظيمة.

- كيف كنت ستتحرك وأنت بلا جواز سفر؟

- تطوع أصدقاء فرنسيون ويونانيون لترشيحي لليونسكو في مشروع ثقافي عظيم اقترحه الدكتور شارل مالك مندوب لبنان في الأمم المتحدة لترجمة جميع الأعمال العظيمة في كل العصور الى مختلف اللغات الأجنبية، الأدب والفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها، ووضعت الخطة في انتظار أن يوافق الاعضاء عليها.

- من دعم ترشيحك لليونسكو؟

- دعمني وزراء اليسار وجورج باباندريو وشخصيات يونانية كبيرة أخرى واعترض وزير الخارجية اليوناني بشدة ووبخ سفير اليونان في باريس لأنه سمح بفضيحة ترشيح عدو الحكومة كازانتزاكي.

- وهل واصلت العمل في هذا المشروع؟

- رغم أنني بدأت العمل توا انهالت كتابات أدباء اليونان ضدي معتبرين عملي في اليونسكو مكرسا لخدمة شهرتي في العالم وذلك غير منصف، إذ لم يكن يعرف هذا الرجل اليوناني النحيل صاحب اللكنة - في اليونسكو - سوى عالم اسباني ومسيو مايو.

- هل عملت طويلا في اليونيسكو؟

- بل قدمت استقالتي حالما انهيت تنظيم مشروع الترجمة.

- لماذا؟

- لم يعد لدي وقت للكتابة والقراءة، وكدت أختنق حسرة، أنا تكفيني ورقة بيضاء وقلم ومتسع من الوقت وعزلة مكتملة لأكون سعيدا وقد واتتني الساعة المباركة لأدخل فردوس العزلة.

13. الشِقاق لعنة الشعب اليوناني المؤبدة

أيها الإغريقي العظيم، كابد شعبك اليوناني حربا أهلية دموية بعد تحرير اليونان من الإحتلالين النازي الألماني والفاشي الإيطالي، لم تتوقف عن العمل والكتابة من أجل الخلاص وكنت تقول:

«الوضع مهول في اليونان وكذلك في فرنسا، أعتقد أن الإضطرابات الانتقالية سوف تدوم مئتي سنة ابتداء من 1900سوف تتوصل الانسانية الى بعض التوازن في حدود 2100"

.- كنت يائسا جراء الحرب الاهلية، وكنت تنفجر بالبكاء وتصرخ «لا خلاص إلا بمعجزة ونحن لا أمل لدينا الآن بالمعجزات»، مثلكم نأمل من فرط يأسنا أن تحدث المعجزة ونرى السلام بعد أكثر من قرن من الاضطرابات، كنت تتساءل متى سترى دخان ايثاكا مرة أخرى؟؟ أكنت تعني ذلك الدخان المبشر بالسلام، دخان مواقد البيوت الهانئة الذي تشتبك معه رائحة الطعام والخبز الساخن الموحية بالاستقرار والشبع وهناءات السلام؟؟

- نعم، دخان المنازل هو راية سلام واطمئنان الى الحياة، بينما كانت بلادي اليونان تمعن في الظلام وكنا نأمل خيرا في البريطانيين والأمريكان، لكن خاب رجاؤنا، فالأمريكان خلطوا ولازالوا يخلطون بين الروح والدولار، وارتكبوا أخطاء جسيمة في اليونان..

- ألم يتضح لكم طريق محدد للنجاة والخلاص؟

- كان طريق الخلاص واضحا لشعبي وكان الجميع يرومون المضي

في هذا الطريق لكن الآخرين من داخل اليونان وخارجها كانوا يعرقلون إرادة السلام، كان حظ شعبي مأساويا دوما، فلنأمل لعل هذه الآلام الفظيعة تساعده على النهوض وتقوي روحه..

- أحببت اليونان على نحو موجع وأردت العودة اليه لكنك بلا جواز سفر، ألم تهنأ بالعيش في باريس؟؟

- أبدا، بل كنت أختنق، أنا اتوق لتربة اليونان وكريت، البقاء في الخارج حكم بالعذاب وهنا في باريس لم اكن أجد حتى القوت، أتطلع للعودة الى جزيرة إيجين، لكن كيف سأعيش؟ أشعر بالخزي، خزي اليونان كلها.

- تكتب إلى صديقك الكريتي بريفلاكي وقد أهدى اليك كتابه (الكريتي) إن الاهداء كان تشريفا كبيرا، وتعقب: لقد كافحت طوال حياتي ومازلت أكافح كي لا أدع روحي تذوي وتموت، أعرف كيف يغدو الكائن الفاني خالدا، وهذا هو أكبر عذاباتي، إذ لايكفي المرء معرفة ذلك بل يتوجب عليه أن يكونه..

- برأيك كيف السبيل الى تلك الكينونة الطموحة؟

- تمثل جهدي خلال سنواتي العشرين الأخيرة في قهر الوهم والأمل دونما إحساس بالخوف: أن أواجه الهاوية دون بكاء أو تضرع أو تهديد، بل بنوع من الطمأنينة والهدوء، أن أرى الهاوية فاغرة أمامي وأن أعمل كما لو كنت خالدا.

- شعورك الإنساني الكوني الشاسع لم يدعك تقصُر اهتمامك بشؤون بلادك فلم تتوقف عن الإهتمام بالبشرية جمعاء.

- من يُقصِر اهتمامه ببيته والقرية تحترق سيصله الحريق، لقد صدمني اغتيال غاندي وملأ السم قلبي وروحي، أحسست أن العالم يتضاءل، أربع رصاصات أصابت الضمير الكوني بجرح بليغ، في عالم لاأخلاقي مادي ومفترس كعالمنا يقتل نبي اللاعنف بعنف مفرط، لقد

أطلقت القوى الظلامية هؤلاء القتلة الجبابرة العميان وصار كل جهد من أجل السلام واللاعنف يهيج جنونهم..

- لطالما كنت تنعى على شعبك الشقاق الدائم وتأمل بقيامة روحية لليونان!

- أجل كان أملي المكتوم دوما أن تولد أعمال روحية عظيمة من الدم والرماد والدموع بعد كل حرب دموية.

14. لنحرّر الحب المسجون في قلوب البشر

تتذمر أيها الكريتي من الحياة القصيرة وهيمنة أصحاب الوصايا على حياتنا وتكتب الى احدى صديقاتك: هذه الحياة قصيرة ونحن لانستطيع التمتع بها كما يجب وبالقدر الذي يجب، ذلك لأن الفضيلة التي وضعها أناس أدنياء مرتاعون تحول دوننا وتحقيق ذلك ولأن الخطيئة التي خلقها أناس أدنياء مرتاعون لايمكن أن تبهجنا ففي اللحظة التي نقوم بوضع وصايانا العشر الخاصة، نموت..

أنت ضد وضع الوصايا وضد سدنة الفضيلة الزائفين وضد المبشرين بالخطيئة، أنت مع حرية تبتغي الشغف الحقيقي بالحياة من غير الإحساس بإثم الخطايا أو الإرتكان الى هشاشة الفضائل الزائفة، ولطالما كنت تردد: من أجل نجاة العالم علينا أن نحرر الحب المسجون في قلب الإنسان، وعندما سألك صحفي فرنسي لماذا كتبت هذا الكتاب الفظيع عن القديس فرانسوا، أجبته:

- أنا أضع كتبا مقلقة على الأقل، وإن استطعت جعلتها فظيعة كي أنذر البشر بأنهم سائرون نحو الكارثة وإن عالمنا يقف على حافة الهاوية التي ستبتلعه.

- هل يجدي صوت كاتب واحد لإنذار البشرية؟؟

- قد يتردد الصدى مع علمي بأن عددا قليلا من الكتّاب يهتمون بمصير البشرية، فالأكثرية يتلاعبون بحكايات عادية وصغيرة عن الجنس والتحليل النفسي والجريمة..

- بمن تأمل خيرا في هذا المسعى؟؟

- أرى أن الرسامين والموسيقيين أكثر حساسية تجاه الأمر من كثير من الكتاب.

- هل نحتاج الى مبشرين عصريين أو اناس لهم بعض قداسة المضحين؟؟

- لم لا؟ فهذا الطبيب العالم والفيلسوف والموسيقي البرت شفايتزر قد ضرب مثلا للإنسانية في مجمل ماقام به في حياته، هو الذي ذهب الى مجاهل أفريقيا ونذر نفسه لمعالجة مرضى البرص والجذام والتخفيف عن آلامهم وعاش بينهم متخليا عن رفاه عيشه في سويسرا وكرس سنواته لخدمة البشرية ونال جائزة نوبل عن استحقاق.

- لكن فلسفة شفايتزر لم تنجح في تنبيه البشرالى احترام جميع أشكال الحياة، فهاهم يفترسون الحيوانات ويقتلعون شجر الغابات ويقتلون بعضهم بحروب عبثية..

- وضع شفايتزر خارطة طريق للنجاة، لكن البشر لم يأبهوا، قال شفايتزر: «إن احترام الحياة هو أسمى مبدأ يجب التحلي به»، لكنهم اعتنقوا مبادئ سياسية فاتكة، وجاهروا بالشوفينية والعنف وقتل المختلف..

- واعتبرت لقاءك به من أهم أيام حياتك؟؟

- نعم، لأنني تعلمت في لقائه دروسا عظيمة - وبعضها يصعب تطبيقه - فنحن نزرع الورود والزهور لنقطفها لالنتفرج عليها وسط الطبيعة، كنا نسير معا ورأيت زهرة برية أردت قطفها فأمسك يدي قائلا: إنها كائن حي، ينبغي احترام الحياة، دعها تكمل دورة حياتها. خجلت من همجية الإنسان إزاء الطبيعة وبني جنسه على حد سواء، وأعترف: إن أهم يوم في حياتي كان يوم التقيته وفتح كل منا قلبه للآخر وعندما دبت نملة على قميصه رفعها وألقاها على الأرض ولسان حاله يردد: أختي النملة الصغيرة..

- ثمة أيام مهمة أخرى في حياتك، مثلا يوم أتتك ايليني تحمل نسخة من أول طبعة للإلياذة..

- أجل أخذت النسخة وقبلتها وقلت: أية فرحة أن أكافح طوال سنوات ثم أمسك بثمرة كفاحي بين يدي.

- لكن كفاحك لم يتوقف.

- أمامي معركة أخرى لإكمال ترجمتي للأوديسة، أتمنى أن أخوض معارك أخرى، لكن وقتي قصير سأرحل وأدع شريكي كاكريذيس يخوضها وحده.

15. الأرواح العظيمة تنمو تحت عفونة العالم

تروي لنا أن لدى الصينيين شتيمة مدهشة فهم يشتمون عدوهم بقولهم (فلتولد في عصر مهم). فالمولود في عصر مهم لاينتبه اليه أحد بسبب الأحداث الجسام التي تشغل الناس وتنسيهم كل ماحولهم فلا يهتمون بالأفراد، وهكذا الإنسان في عصر الاحتلال والغزو والصراعات الدامية لا أحد يهتم به سوى كونه صوتا في الإنتخابات أو جندياً في المعركة، أي أنه محض رقم في لعبة السياسة.

تعلق أنت على عصرك وكوارثه: ينبغي أن يكون المرء بطلاً، أو يصير بطلاً كي يستطيع العيش في هذا العالم الدنيء المتعفن.

- ولكن أين هي الأرواح العظيمة أيها الكريتي المقاوم؟؟

- الروح البِكْر تنمو تحت عفونة العالم، ترفع رأسها وتتغذى كالنبتة من ذلك العفن وسوف تكبر وتنتصر بعدنا بقرون، لن تموت الأرواح العظيمة.

- تخبرنا ايليني أنك بعد أن أكملت ترجمة الإلياذة صرت تكتب قصائد الهايكو وأنت مهموم بكيفية تدبير تكاليف الطباعة، فالناشرون اليونانيون يخشون من صيتك اليساري ومعاداة الكنيسة الارثوذكسية لك ولكتبك فيمتنعون عن نشر أعمالك طوال سنوات.

- حدث أمر غريب، فقد نبّه وزير يوناني الأميرة ماري بونابرت الى كتبي وقرأتها وأعجبت بها واقترحت على ملكة اليونان قراءتها فأصدرت الملكة أمراً يمنع رجال الدين من حرق كتبي وتعريض الكنيسة إلى السخرية عندما تقدم على هذا.

- وتتابعت الأحداث الطيبة بعد ذلك وتحمس الناشرون فطبعت أعمالك الكاملة في اليونان وجاء نبأ أن أدباء النرويج أجمعوا على ترشيحك لجائزة نوبل للسلام بعد أن خسرت جائزة نوبل للآداب أمام ألبيركامو سنة 1947، ترى لماذا رفضت في البداية هذا الترشيح؟؟

- ليس من العدل أن أقبل، فلتمنح لمناضل يوناني تعذب من أجل السلام واقترحت منحها للشاعر فارناليس أو الروائي كورناروس الذي اعتقلته الشرطة الفاشية في اليونان..

- لكن اللجنة العالمية ألحت عليك بالقبول وسوف يتوج معك الرسام الصيني الشهير شي يا شي الذي بلغ التسعين من عمره..وعاد صديقك دانييليذس إلى إقناعك لأن رفضك قد يعد إهانة للجنة نوبل.

- قبلت على مضض، وجاءت جائزة السلام التي لم تكن متوقعة، فرحت ايليني، ولم أحزن، وكتبت لصديقي: عدم اكتراثي لايصدق ـ أنت وحدك تصدقني، عدم اكتراثي بهذه الأمور صار حالة مرضية لديّ فقلبي يشتعل من أجل أشياء أخرى، الحمد للرب أنك تصدقني..

- بماذا تحدثت أمام لجنة نوبل؟؟

- لم أتحدث إلا عن الحرية والسلام لتفهمني الشعوب التي عانت من الإحتلال والفاشية وتحررت منهما، قبلت الجائزة باسم جزيرتي كريت التي دفعت أثمانا باهظة من أجل حريتها وخلاصها من الإحتلال النازي. وألهمني كفاح كريت كاتبا وإنسانا يعمل من أجل الكرامة الانسانية.

- كيف شعرت إزاء الجائزة؟

- تلقيت المكافأة الرفيعة مثل عامل يتسلم أجرته بعد نهارعمله، وشعرت بتأثر عميق، وبارتباك أكبر وتساءلت: هل أنا حقا جدير بهذه الأجرة؟؟

- تقول ايليني في هذه الفترة أنك دخلت مرحلة مختلفة من حياتك، فيها شيء من التخلي والاستسلام والإكتفاء بأبسط الأمور.

- لم أستسلم ولم أتخلّ عن مشروع من مشاريعي إنما كنت أقاوم المرض وأناضل للبقاء كل لحظة.

- زارك شاب مصري يجمع بين الثورية والتصوف.

- إنه عزيز عزت الذي أدهشتني ثقافته ومعرفته بعدد من اللغات وسيحبني ويكتب سيرتي بعد سنوات.

16. الإنسان قادر على الإتيان بالمعجزات

في مدينة أنتيب الفرنسية، وأنت لاتزال بحاجة الى جواز سفر، تشتري بيتا مهدما صغيرا جدا كان بيت صيادين فترممه وتسكنه مع إيليني وتسميه (الشرنقة) فهو ضيق مثل جلد الإنسان على جسده، وكنت تقول (هذا ينفعنا في برد الشتاء القاسي ندخله كالدودة ونخرج منه محلقين كالفراشات). في الشرنقة زارك فنانون وكتّابٌ ومخرجون، ووصلت كتبك التي شحنها أصدقاؤك من بيتك في جزيرة إيجين وغبطتك على أصدقائك الرائعين، شخصيا لم أجد صديقا واحدا يأتيني بمخطوطاتي وكتبي وأوراقي بعد أن أرغمت على الهجرة من بيتي خلال العنف الأهلي، لك أن تحمد الآلهة لأنك حظيت بكل هؤلاء الأصدقاء الأوفياء.. وكنت تعاني من مرض غامض يظهر بشكل فورات جلدية ودمامل، لم تكن تعلم أنك مصاب باللوكيميا، في هذا الوقت زارك شاب اسمه عزيز عزت تحدثت عنه في مناجياتنا السابقة فمن هو عزيز هذا؟؟

- إنه شاب جميل الطلعة أسمر البشرة مصري المولد، يسكن في مدينة أكس أون بروفانس ويصدر مجلة ممتازة باللغة الفرنسية اسمها الدلافين الأربعة.

- تحاورتما طويلا وحدثته عن حياتك..

- أجل، لقد سحرني هذا الشاب المتحدر من أرومة عربية فهو يجيد اللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية والإيطالية بشكل عميق،

أعجبتني فيه روحه الثورية المتوثبة النازعة الى التصوف، وأهديته كتابي (تصوف)..

- تكتب ايليني أن عزيز عزت كتب دراسة بيوغرافية - سيرة - عنك واعتبرتها من الكتب الناجحة والمهمة في ميدان سيرتك..

- إعجابه بعملي وحياتي ومعاناتي دفعه ليكتب هذا الكتاب بعد وقت طويل من لقائنا ذاك.

- ماذا تعلمت من كل حياتك ولقاءاتك ورحلاتك وكتبك؟

- تعلمت أن الإنسان مازال قادرا على إنزال المعجزة إلى الأرض، حسبنا أن نتجاهل الدرب المستقيم المسطح الذي يفضي الى السعادة ونختار الدرب الصاعد الوعرالذي يقود الى المستحيل.

- هل فاجأك القدر بجزاء جميل بعد مشاكسات طويلة؟

- أجل، فبعد مكائد أدباء اليونان ومحاولة الكنيسة تجريمي، نالت رواية زوربا جائزة أفضل كتاب أجنبي منشور في فرنسا ونشر كتابي عن القديس فرنسيس على حلقات في أفضل صحف أثينا.

- ما كان رد فعلك على هذه الأمور المبهجة؟

- كنت أتابع من عزلتي المشمسة أهواء البشر بذهول وإشفاق، وأواصل عملي: الحلم بإنسانية أفضل محاولا التعبير عن حلمي لاعتقادي بأنني أساعد الحلم على التحقق.

- في أي كتاب من كتبك عبّرت بطريقة أفضل عن روحك؟؟

- عبرت في كتابتي الحديثة للأوديسة عن روحي كلها، عن الشعلة والنور المنبثقين من عناصر جسدي، أما أعمالي الأخرى فأعتبرها ثانوية..

- هل جرت ترجمة الأوديسة الى لغات أخرى؟

- أجل فقد قام ناشري الأميركي بعمل مذهل اذ أوفد الشاعر الأميركي فريار ومنحه راتبا كبيرا ليرافقني ستة أشهر من أجل فهم

الأوديسة وترجمتها وأرهقتني المشاركة في عملية الترجمة وفي هذا الوقت اكتشفوا إصابتي باللوكيميا اللمفاوية وكنت أخضع للعلاج أربعين يوما كل عام.

- ومع ذلك كنت تمضي في الكتابة..

- نعم شرعت في كتابة كتابي (إنه يقول- إنه يريد الحرية - اقتلوه) وفي داخلي تغلي ثلاثة كتب أخرى تنتظر الخروج الى النور، كنت أفكر بأنني سوف أموت وفي داخلي كتب كثيرة.

- ألست طوباويا لتقول: لابد للشر أن يرضخ في الأخير الى قوة الخير المطلقة والبطيئة والأكيدة؟؟

- لو لم يكن هذا القانون الغريب هو الذي يقود مصير الإنسانية لانهزمت الروح أمام المادة واختنقت الحرية والسلام بالخوف الأكبر..

17. حب اغريقي: إيليني وكازانتزاكي

«بما أنه ليست هناك نقطة نهايةِ لشيء أشرعُ به، سأظلّ وفياً لك الى الأبد رغماً عنك"

.هذا ماكنت تردده دوما لحبيبتك ورفيقة زمنك (إيليني) وتهمس لها بنبرة رجاء مفعمة بالحب:

- عندما أموت أكتبي عني كتاباً..

وكانت إيليني تعترض، ترفض، تنفعل فزعةً وتقول لك:

- أبداً، لابدّ من كاتب موهوب ليكتب عنك..

تهمس لها:

- بل سوف تضعين عني كتاباً يا لينوتشكا، عليك أن تفعلي ذلك؛ فالآخرون سوف يكتبون أشياء غير دقيقة عني، أنت الوحيدة التي تعرفني جيداً..

تكتب هيلين في تقديمها للكتاب الفاتن الذي كتبته عنك بعنوان (المنشقّ) أنها لن تقدِمَ على هذه المجازفة فهي عاجزة تماماً عن هذا الأمر؛ لكنّ شرارة العمل إنبثقت من قصاصة ورق مهملة.

تقول هيلين: كم مرة أقسمت أن لاأفعل، وحينئذ أكون أعجزَ من أن أكتب؛ لكني بمصادفة عثرت على ورقة مهملة كتب فيها نيكوس بقلم الرصاص «خطة أولية لكتابي» وبدأت خوض التجربة..

- وأنت في ملكوت خلودك عند سور مدينتك هيراكليون حيث أوصيت أن تدفن، كيف ترى مافعلته إيليني؟؟

- لم يكن أحدٌ سواها ليكتب عني بمثل هذا العشق والنزاهة والصبر والإلهام، أنا واثقٌ أن حبنا كان ملهماً لها لتؤلف كتاباً بهذا الجمال، إختصرت إيليني أحزانها وتعالت على وحدتها وكشفت أسراراً ووقائع لايعرفها سوانا؛ فوهبتني عمراً مديداً بعد رحيلي..

- سيغبطك كتّاب وشعراء ومبدعون لايحصون وقد يحسدك مبغضوك لما فعلته لك معشوقتك الرائعة إيليني.

- ماعاد حسد المبغضين يفاجؤني؛ فقد نلت حصتي الموجعة منه خلال حياتي عندما تآمر بعض أدباء اليونان عليّ..

- تكتب هيلين في مقدمة كتاب المنشق: «لكي أجسّد خيال حبيبي، ها إني مستعدة للصعود بعكس التيار، مثل صياد عجوز يصعد نحو النبع، قافزاً من صخرة إلى صخرة ومن حجر إلى حجر، ينزلق، ينحني، يتناول في كفه قليلاً من الماء يروي ظمأه ثم يواصل سيره صامتاً.... هكذا أنجزت الكتاب واستلهمتُ له عنوان «المنشق» من مقولة لـ «سان جون بيرس» وجمعتُ فيه رسائله وأوراقه وصوره وملاحظاته، فما تعليقك على ما باحت به إيليني؟

- فعلتْ مالم تفعله العاشقات على مرّ العصور، وماحديثها عن الصعود ضد التيار إلا للتعبير عن مكابدتها وألمها أيضاً وهي تضع الرسائل المتبادلة مع محبوباتي الأخريات في الكتاب، هذا فعلٌ لاتؤديه سوى قديسة، لم تهمل رسالة واحدة فكانت وفية للحقيقة لعلمها بأنها المعشوقة الوحيدة الأبدية لي منذ لقائنا الأول في سنة 1924..

- تكتب إيليني أنك لبثت تردّد في أيامك الأخيرة وأنت تعاني من اللوكيميا: ياإلهي، أرجوك، مُدّ في عمري عشر سنوات أُخَر لأكمل أعمالي؛ فمازالت في داخلي كتب كثيرة لم أكتبها بعد..

- وأكثر من ذلك كنت أتمنى الجلوس على قارعة الطريق لأتسوّل من كلِّ عابر سبيل ربع ساعة بما يكفي لإنهاء أعمالي.

- تصفك إيليني بأنك كنت مسكوناً بالتناقض، لكنك تمضي قدماً على الدرب الذي رسمته لنفسك من غير تردّد أو مساومة، وأنك كنت متشدداً ومتواضعاً، مضيافاً ومتوحداً، مولعاً بالبذخ والعطاء ومفضلاً الزهد، هادئاً ومشعّاً في آن واحد، جاداً أو ضاحكاً في قوتك وضعفك.

- ربما كنتُ متشدداً مع الآخرين بالقدر نفسه من تشددي مع نفسي؛ فكنت أقوم بما أبشّر به، وأبشّر بما أريد فعله، وأطالب نفسي بالمستحيل الذي أتوق إليه.

- لم تتوقف إيليني عند كتابة سيرتك في كتابها (المنشق) بل عملت جاهدة وكرّست حبها الخالد وسنواتها وأموالها لنشر أعمالك التي لم تنشر، وكتبت مقدّمتها لمذكراتك الثرية: (تقرير إلى غريكو) وهو الكتاب الذي يُعدّ وثيقة ثمينة عن عصرنا المضطرب وحضارة اليونان ورؤيتك الفلسفية للحياة والانسان؛ ولكن يدفعني الفضول لأتساءل الآن: هل وجدت في إيليني قارب إنقاذ من حياتك المضطربة مع زوجتك الأولى الكاتبة (غالاتيا) وكنت حينها على وشك الإنفصال عنها؟

- ربما كنت لأحب إيليني مهما كانت أوضاعي وفي أي مكان أو زمان كنّا في هذا العالم، كانت غالاتيا كاتبة تعوزها الموهبة، وأصيبت بنوع من جنون الحسد تجاه نجاحي وازدهار مهنتي؛ فتحولت إلى وحش مؤذٍ، وكان لابد لنا من الإنفصال.

- لكنك لم تتزوج إيليني حتى بعد انفصالك عن غالاتيا؟

- كنا نعيش علاقة حرة، وغالباً ماكنت أعتكف منعزلاً في جزيرة (إيجين) للكتابة ونكتفي بتبادل الرسائل؛ فقد اتفقنا على «ميثاق الأيام العشرة» التي نلتقي فيها سنوياً..

- تقول هيلين لقد تجسدت الفلسفة أمامي في شخص نيكوس: الطيبة وانعدام الحسد وامتلاك ماهو ضروري حسب والتسامح مع المسيئين وعدم الإستسلام لخدر الراحة والرفاهية.

- كنت أجد فردوسي في العمل، لاوقت للتراخي، ولطالما قلت لها: رفيقتي، الحياة معجزة، تعالي بسرعة إلى كريت؛ فالعنب والتين والإجاص والبطيخ وهوميروس وبوذا وروحانا والأمطار الأولى الموشكة على النزول، كلهم ناضجون، طيبون وجاهزون ومقدسون ياحبيبتي..

- ما أبهى حبّكما أيها المعلم الكبير..

- ليس حباً حسب، ليس عشقاً إغريقياً منبثقاً من الماضي ومتوغلاً في المستقبل، بل كان رفقة فكر وصداقة عذبة تحرسها ثقة لم أمنحها لأحد سواها؛ فقد كانت حارسة حياتي وخبيرة أعمالي، وكنت أردّد طيلة حياتي معها وأنا أنجز أحد كتبي: «إقرأي يالينوتشكا، أخبريني إذا كانت المخطوطة ذات قيمة»، طوال ثلاثين عاما كنت أرجوها أن تقرأ ماكتبتُ وتخبرني إن كان عملي يستحق جهدي وعزلتي..

- تقول إيليني أنها غضبت منك عندما قرأت العبارات الأولى من كتاب مذكراتك (تقرير إلى غريكو) واغرورقت عيناها بالدموع لأنك تشير إلى الموت للمرة الأولى فيما تكتب:

«أجمع أدواتي: البصر، السمع، الشم، الذوق، اللمس، الروح حلّ المساء وانتهى يوم العمل، أعود الى بيتي كما يعود الخُلْد إلى التراب، ليس لأنني متعب من العمل، لست متعباً، غير أن الشمس تغيب..."

تذكر إيليني كيف غامت عيناي واختنق صوتي وتساءلتْ: ما الذي يدفعه للحديث عن الموت هذا اليوم؟؟ لماذا بدأ يتقبل فكرة الموت؟؟ وعندما رأى غضبي وضع يده على كتفي ولبث محتفظا بهدوئه..

- قلتُ لها: اطمئني يارفيقتي، **سوف أعيش عشر سنوات أخرى، لقد سبق لنا القول أننا لانموت إذا كان لدينا هدف نبتغي بلوغه،،** ثم كتبت

إلى صديقي بريفيلاكي: أرجوك إقرأ هذه الصفحات الأولى من (تقرير إلى غريكو).

لم تتمكن إيليني من قراءته حتى النهاية إذ انفجرت باكية، مع أنه من الأفضل لها أن تتعود على فكرة الموت وأتعوّد عليها أنا أيضاً......

18. ترحل مثل ملك نال نصيبه من الوليمة

أنهي مناجياتي معك وأنت تمضي بعيدا ولاتلتفت وتجتاز العتبة مثل أبطال التراجيديات الإغريقية وكأنك بروميثيوس سارق النار، كنت تقول متشبثا بالأمل:

- أنا بخير، عاد دمي الى حالته الطبيعية وعدت الى الشرنقة بصحة جيدة، بدأت فرنسا تتعرف عليّ وتكرمني، تأخرت فرنسا قليلا ولكن لايهم، أنا لاأهتم بكل هذه الأمجاد فقد تجاوزت كل طموح وأمسيت الآن أستنشق عبير الهاوية المرّ.

- وما زلت تترجم الإلياذة وتكمل أناشيد الأوديسة وستسافر الى الصين.

- لن اتوقف عن العمل ففي داخلي تغلي كتب كثيرة.

- تقرأ لك السيدة بواريه الفنجان وتقول بصوت راعش: سيدي لا تسافر إلى الصين إني أرى قبرا فاغرا في قعر فنجانك، لا تسافر بحق الله..

تقول ضاحكا: على حدّ علمي إن القبر يدل على الزواج كما في الأحلام.. صبيحة سفرك عادت تقول لك:لا تسافر أرجوك حلمت أحلاما سيئة، فتقهقه وإيليني تحاول اقناعك بالعدول عن الرحلة:- ألسْتَ انت القائل بأننا أحرار؟؟ «إن شئت دخلت وإن شئت لا أدخل» هكذا قال بطلك الكريتي عند أبواب مدينة هيراكليون- نحن أحرار في سفرنا أو عدمه.

كنت تقهقه وتقول لها: هيا يا رفيقة المعركة، هل ستلقين سلاحك وأنا المبتهج بخدمتك لي كدليل في بكين؟ قوبلتما بحفاوة قلّ نظيرها في الصين، زرتما المعابد والجامعات والقرى مع مراعاة عدم إرهاق صحتك، وأرسل رئيس جامعة بكين طالبة شابة لتعينك على النزول من السيارة وصعود الدرجات القليلة، قلت «لست هرما ولا عاجزا، ولكن هذا الأمر يروق لي» وسلمت ذراعك للفتاة.

- تخبرنا ايليني أنك أخذت لقاحات ضد الكوليرا والجدري في مدينة كانتون فتورمت ذراعك وأخفيت الأمر عنها، وفي اليابان ازداد الأمر سوءً، وكان الأوان قد فات لعلاجك وفي طائرة العودة أحسست بالإنهاك وذويت مثل زهرة محتضرة؛ فنصحك الأطباء بالتوجه الى المستشفى في فرايبورغ وبّخ الطبيب إيليني: أتأتين به وهو على هذه الحالة؟؟ وكانت تردد: حاول إنقاذه يادكتور أكدوا لي انك قادر على ذلك.

كانت تنتحب، وقلت للطبيب «انظر إن شوارع فرايبورغ مبتلة، إنها لم تمطر، هذه دموع زوجتي» بعد أسابيع النقاهة أخبرتك إيليني انهم أرادوا بتر ذراعك وقد عَزمَت على قتلك، تقول لها:

- تقتلينني؟

- نعم، كاتب وبدون يد يمنى ولا يجيد إملاء كتابته على أحد؟

- هات لي ورقة وقلما: وبدأت تجرب الكتابة باليد اليسرى.

وأنت راقد في المستشفى - وكنت مرشحا لنوبل الآداب - تمنح الجائزة الى البير كامو وخوان رامون فتقول لإيليني وأنت تصارع الألم: لنكتب برقية حارة للأصدقاء.

الحمى تواصل ارتفاعها والطبيب يطمئن زوجتك: سيعيش نيكوس طويلا، لكنك تصاب بتسمم معوي فيمنعونك من الطعام وترتفع الحمى وتضيق أنفاسك وعندما يعطيك الطبيب حقنة كورتيزون تمد ذراعك وتهمهم:

- الآن، إنها النهاية..

- كنت مدركا أنك ماض نحو الهاوية وكنت ترى: الماضي والحاضر والهاوية المظلمة.

- لكني لم أقل أية كلمة متشائمة، كنت أستند الى وسائدي وأشكو من عطش قاتل وايليني تناولني اقداح الماء كل آونة ولا أرتوي ثم تجتاح الغشاوة بصري.

تقول ايليني: وذبلت عيناك تماما وغادرتَ بهدوء فأغمضت هي عينيك اللتين ماعادتا تريان الشمس أبدا، وصاحت: أيتها النجوم والأشجار والليل: إن الذي أحبكم كثيرا لم يعد موجودا.

- مضيت شامخا وأسلمت روحك مثل ملكٍ أخذ نصيبه من الوليمة ثم وقف وفتح الباب واجتاز العتبة.

مُناجياتٌ مع هرمان هسّه

1. في مملكة الروح السرمدية

كيف لي أن أناجي «ذئب البراري»، هذا الكائن البري الغريب وشديد الحياء والذي يفتقد الى الود والألفة؟؟ كيف أحادثه وهو منغمر في عزلة محكمة يبحث في أسرار الروح والسحر والموسيقى وانحلال العالم ويرنو الى مملكة الروح السرمدية؟؟

لابد أن أستعير منه بعض القدرات السحرية التي طالما اختزن اسرارها من مخطوطات جده وتعاطى معها في أوقات مختلفة عندما كان الواقع يحاصر روحه المرهفة.

- السيد الساحر هيرمان هيسه، كنت دوما تود الإختفاء لتكون في كل مكان، وتعترف في صورتك الوصفية عن طفولتك (طفولة ساحر) بأن أعظم امنياتك كانت امتلاك قدرات خارقة تمكنك من الإختفاء عن العيون، فكيف تعاملت مع هذه الأمنية التي لازمتك طويلا؟؟

- كنت أمارس السحر حقيقة، وأدرب نفسي على ذلك، لكني عجزت عن الإختفاء وتغييب جسدي عن أنظار الناس، لذا قررت التخفي في شخصيات رواياتي.

- ولهذا نجدك في «ذئب البراري» و«دميان» وكذلك تظهر في «تجوال» ورواية «تحت العجلة» وفي «لعبة الكريات الزجاجية» أي أنك كنت تمزج بين سيرتك الذاتية وسير أبطال رواياتك..من أنت في كل هذا؟؟

- لزمن طويل لم أعرف من أكون، لكني نجحت في أن أغدو هاري

هالر في ذئب البوادي وصرت الى حد ما هـ. هـ. في كتاب رحلة الشرق، وهيرمان هالنر في رواية «تحت العجلة». لقد توزعت حياتي في رواياتي ولا انكر هذا..

- وأنت أيضاً كنتَ إميل سنكلير عاشق الأم الأبدية الخالدة في رواية دميان؟

- كل تلك الحكايات هي عن نفسي، فهي تعكس طريقي الذي اخترته وأحلامي ورغباتي السرية وحزني المرير الذي عانيته.

- غالبا تنتمي الى عوالم الروح ومزاجك مسحور بالشرق وثقافته والهند وأسرارها، هل حصل ذلك للخلاص من واقع تهرب منه؟

- الواقع آخر ما يمكننا الإنشغال به، الواقع مضجر ولطالما كان موجودا على نحو مريع، بينما هناك أشياء أكثر جمالا وأعظم أهمية تستدعي انتباهنا واهتمامنا، ينبغي للإنسان تحت أي ظرف أن لايرتضي بالواقع ولايستسلم له ولا يخشاه، لأن الواقع أمرٌ عرَضيّ يتكون من فضلات الحياة، لابد من رفضه لنبرهن له أننا أقوى منه.

- هاجمت ذهنية الحرب التي تفشت في أوروبا وهلل لها كتاب وشعراء ألمان وكتبت مقالات معارضة لجنون الحرب.

- أجل، خاصمني الأصدقاء والقراء ورمتني الصحف بتهمة الخيانة، وانفضّ عني الناشرون ودفعت أثمانا باهظة لمعارضتي الحرب..

- وصفك آخرون بأنك كنت تمثل الشباب الغريب الرافض بيع نفسه للقوانين العامة والقيم البالية.

- لطالما كنت اؤمن بأنه كلما تنامى وعي الإنسان، انغمر في الأزمات واليأس بسبب إدراكه للتناقضات التقليدية في الواقع.

- هل كنت تنظر إلى الشرق على أنه الجنة التي أضاعها الإنسان الأوروبي الحديث؟

- حصل ذلك فعلا، لكنني أدركت بعدها أن فقدان البراءة ليس ظاهرة اجتماعية أو جغرافية بل هو أمر يخص دواخل الإنسان نفسه.

- تقول في سيرتك أنك ولدت قرب نهاية العصرالحديث (1877) وقبل عودة العصور الوسطى بفترة قصيرة؟

- أجل حدث ذلك قبل بدء الحرب العالمية الأولى التي تناسلت منها حروب القرون الوسطى الجديدة وصولا لحروبكم الدموية فكنت أهرب الى عالم أكثر حرية وطواعية هو عالم الخيال وعندما أعود منه أجد العالم مختلفا.

2. الموسيقى رداء الآلهة

اعترفت بأنك عشت في عالم الخيال طويلا وكنت تعود الى العالم الخارجي فتتقبله وتحبه وتعقب: لقد عشت طويلا في الجنة، ترى أية جنة تعني؟

- وجدت الجنة في اقترابي من الطبيعة، كانت لدينا سقيفة في الحديقة تعيش فيها الأرانب وطيور الغداف السوداء، فكنت أمضي الساعات الطويلة وأشعر بالتملك الدافئ السعيد مع تلك الكائنات العذبة، فمن الأرانب تنبعث رائحة الحياة: العشب والحليب والدم والإنجاب ومن عين الطائر الأسود تبرق وهجة الحياة الأبدية.

- لطالما أبديت افتتانك بلغات العالم إلى جانب افتتانك بالطبيعة
- بخاصة لغات الشرق مع أنك لا تعرف إلا القليل عنها، ما مصدر هذا الإنجذاب؟

- كان جدي لأمي ساحرا وحكيما وعاش فترة طويلة في الهند ودول آسيا،وكان يفهم جميع لغات الجنس البشري، أكثر من ثلاثين لغة، كان يفهم لغة الآلهة وربما لغة النجوم وكان يكتب ويتحدث باللغة الهندوسية والسنسكريتية، وينشد أغنيات البنغال والهند والسنغال ويعرف جميع الطقوس الدينية للمسلمين والبوذيين والهندوس، أحببت هذا الجد واحترمته وتوقعت منه كل شيء وتعلمت منه دائما وهو متلفع بأسراره.

- هل كنت ملازما له؟

- كان منشغلا بزوار لا ينقطعون عن المجيء، زوار يتحدثون

الإنكليزية والفرنسية والهندية والإيطالية ويغادرونه بعد حوارات طويلة دون أن نتعرف الى هوياتهم، ربما كانوا رسله أو معاونيه ومنه تعلمت أمي عالم الأسرار عندما عاشت معه في الهند.

- وماذا عن والدك؟؟

- والدي كان واضحا مكشوفا لا تحيطه هالة من السحر كجدي وأمي، وكان يعاني الألم من أجل البشرية جمعاء وغالبا مايتحدث مع أمي بالألمانية والانكليزية الصافية بينما كانت أمي تحدث والدها بالهندوسية.

- يبدو أنك تأثرت جدا بوالدتك؟

- اعترف أن جذوري كانت تمتد أعمق في تربة أمي، في غموضها وهي تفيض بالموسيقى وتغني بلغات عدة، أبي لم يكن يجيد الغناء مطلقا..

- مرارا اتهمتك صحافة بلدك بالخيانة، عن أي شيء كانت تهمتك؟

- كتبت مقالات عن كراهيتي للحرب ورجال الدين الذين امتهنوا الوعظ بالكراهية ونشر الأكاذيب وتمجيد الحرب - البلاء الأعظم - وقد نشروا مقالة اتهامي في عشرين صحيفة ولم يتجرأ سوى إثنين من أصدقائي الصحفيين للدفاع عني بينما أعلن البقية أن قلوبهم تخفق بحب القيصر والرايخ وليس من أجل شخص خائن منحل مثلي يقف بوجه الحرب الوطنية.

- ما ذا عن الموسيقى؟

- الموسيقى رداء الآلهة، هي شيء من عالم السحر وأنا رجل معني بالأساطير والسحر، درست الموسيقى وأعددت نفسي لكتابة أوبرا عظيمة ولكني وجدت أن جميع الاوبرات قد كتبت قبلي وبخاصة أوبرا «الناي السحري» لموتزارت التي قالت كل ما كنت أود قوله.

- هل استخدمت الموسيقى لدعم قدراتك السحرية؟

- أجل جربت ذلك، فقد كان من السهل عليّ الفوز بحب فتاة بسحر

الموسيقى، وكان بوسعي السيطرة على الآخرين ولعب دور الرجل الغامض، واقتنع أقاربي وأصدقائي بقواي السحرية الخارقة..

- تعترف بأن صنما هندوسيا وتمثالا للإله بان إله المراعي قد زوّداك بالمعرفة.

- قبل أن أتعلم القراءة والكتابة بفترة طويلة تعرفت الى هذا المعبود الهندوسي في خزانة جدي فملأني بالصور والأفكار الشرقية القديمة كما تعلمت من النهر والغابات، من أشجار التفاح.

3. كل عقيدة تتحول إلى فخّ للروح الحرة

تعود في روايتك «دميان» المفعمة بتمجيد الأنوثة الخالدة والروح الكونية والنبوءات - تعود إلى استعادة طفولتك في طفولة «إميل سنكلير» وتفصح عن حيرة الصبا فأنت تتقمص شخصية إميل سنكلير الصبي الحائر الذي يرى بيت أسرته عالما بحدود ضيقة رغم جو الألفة والحنان، أم وأب: حب وصرامة سلوك مثالي ومدرسة، عالم نظيف ونقي وأخلاق حميدة، كنت ترى هذا العالم ممتدا بخطوط مستقيمة وقد صممت أن تخرج عليها كلها وتمضي في المتاهة إذ تميزت السنوات الأربعون من حياتك بحركة مسعورة نحو الخارج، نحو الحرية التي لا يقيدها شيء هناك هروب من المدرسة، هروب من البيت، هروب عبر أوروبا وآسيا، هروب من حميمية العائلة كما ساعدت أصدقاءك على الهروب من جحيم النازية، ولبثت تهربُ نحو الجبال والمواقع الأسمى..

- الهروب كان فعل تمرد، ولولا ذلك لبقيت كائنا منصاعا وخاضعا لتقاليد أمقتها، لطالما كرهت الخطوط المستقيمة واخترت الطرق الوعرة..

- ماذا ترى في حصولك بعد الحرب على جائزة نوبل، ثم جائزة غوته؟

- أظنني برهنت في أعمالي على صيانة العديد من القيم التي تنتمي لمملكة الروح السرمدية، هذه القيم التي فقدت في جو الخواء الاجتماعي والثقافي الذي ساد ألمانيا خلال الاثني عشر عاما من الحكم النازي..

- وصفك بعض معاصريك بأنك كنت نموذجا للشباب الغريب الذي لا يتقبل القيم العتيقة ويرفض بيع نفسه الى مجموعة القوانين العامة.

- الروح الحرة المتمردة التي أملكها كانت تحرضني على رفض

تلك القيم البالية وتحول بيني وبين بيع نفسي للقوانين العامة، لذلك كنت أهرب دوما الى أمكنة أخرى تعتقني من القيود..

- أترى الحرية دينا قبل جميع الاديان؟

- لا يمكن للحرية أن تتحول الى عقيدة فكل عقيدة مهيأة لتصبح فخاً لكل روح متحررة وفي أوقات عصيبة عندما سُلبت حريتي قمت بمحاولات انتحار، الحياة تصبح عبئا دونما حرية حقة..

- قاومت إرغام والديك لك على الدراسة الجامعية وحاولت الإنتحار وأصابتك نوبات صداع ودوار، ما الذي كنت تريده حينها؟؟

- أعلنتها بوضوح: أريد أن أكون كاتبا وحسب.. قلت لهم لقد خلقت لأكون كاتبا وتركت الجامعة، وعملت متدربا في مشغل يصنع ساعات الأبراج واشتغلت في تجارة الكتب وأصبحت نهما للقراءة التي زودتني بالثقافة رافضا صيغة التعليم المدرسية.. وحينها أسست صحيفة معارضة وحررت مجلات دورية واستعرضت عددا لا يحصى من الكتب وحررت مختارات أدبية وأعمالا ألمانية رومانسية وكنت سعيدا بكل ذلك.

- قلت في كتابك «تجوال» إن التحرك والتجوال علامتان من علامات الطريق الى المستقبل وأنك تشمئز من جميع الحدود والمعيقات..

- التجوال يجعل المرء حرا أشبه بكائن بدائي بالطريقة ذاتها التي تجعل البدوي أكثر بدائية من الفلاح، لقد تحكمت بي رغبتي في تجاوز كل شيء وكنت أشمئز من الحدود بين البلدان، أشمئز من آثار الحروب وعلاماتها على أرض البشر..

- الحدود بين البلدان فحسب أم الحدود في كل شيء؟

- الحدود بين البلدان أشبه بالمدافع، أشبه بالجنرالات، طالما كان لدينا سلام ومحبة لكننا لم ننتبه إليهما وما أن نشبت الحرب وتسيّد الخبل عالمنا حتى صرنا نرى وجودهما ملحّا ومقدسا..

- تعترف بأنك عابد لما هو غير ثابت ولا مستقر؟

- أعبد المتغيّرات والفانتازيا، لا أحب أن أمنح حبي لمكان واحد وصغير كالوطن.

4. الأشجار معابد مقدسة

مثلك أكلمها ـ وأصغي إليها وأعرف كيف أتعامل معها، الشجرة النبيلة المعطاء، هي صورة الأم التي لا تتوقف عن بذل المحبة، من يصغي إليها بوسعه أن يتعلم الحقيقة، هي لاتقدم المواعظ أوتفرض التعاليم، ولكنها تبشر بالقانون الأقدم للحياة، غير مبالية بالتفاصيل الصغيرة.

- حدثنا ايها الشاعر المرهف المفتون بالطبيعة هيرمان هيسه، ماذا تبوح لك الشجرة؟؟

- تهمس لي الشجرة: انصت جيدا، النواة مخبأة في داخلي والشرارة والفكرة أيضا، حياة مقتبسة من الحياة الأزلية..

- وبعد، ماذا منحتك الغابة من أسرارها وبماذا همست لك؟؟

- كنت أنصت اليها شجرة، شجرة، أقدر فرادتها، كل واحدة بميزاتها، لا أصغي لضجة الحشد من الشجر والناس، تقول لي الشجرة: قوتي تكمن في ثقتي، لست أعرف شيئا عن آبائي وأسلافي، ولا أعرف شيئا عن آلاف الأبناء الذين سينبثقون مني كل عام، أنا أحيا بالسر المودع في بذرتي حتى أبلغ نهاية المطاف، أثق بقدسية عملي، وبهذه الثقة أحيا وأستمد منها قوتي لأواصل المقاومة..

- هل قامت الأشجار بمهمة مواساتك عندما تراكمت عليك الخطوب؟؟

- أجل، قالت لي الشجرة، إهدأ، إهدأ، انظر إلى الحياة، إنها ليست صعبة وليست سهلة أيضا، إن ما يجهدكم ويتعبكم أن دروبكم تقود بعيدا

عن الأم والوطن وكل خطوة تخطونها وكل يوم يمر عليكم يعود بكم ثانية إلى حضن الأم، ليس الوطن ما يقال أنه هنا أو هناك، إنه إمّا في داخلكم أو لاوجود له على الإطلاق، فتشوا عنه في أعماقكم..

- كاتبنا العظيم سيد الحكمة هيرمان هيسه، هل تشبه الأشجار البشر؟؟

- لا، الأشجار تتابع حفيفها مع كل غروب، وتواصل دون أن تطرح المزيد من الأسئلة، بينما نقف نحن محتارين أمام أفكارنا الحمقاء، الأشجار لها أفكار طويلة ممتدة، ولها نَفَس مديد هادئ، كما أن لها أعمارا أطول من أعمار البشر، لكنها أكثر حكمة منا ونحن لا نجيد الإصغاء إليها، وعندما نتعلم الإصغاء سنكتشف اتجاهات طريقنا.

- بِمَ تصفُ الأشجار بعد أن منحتها صفات الحكمة والرصانة والأمومة؟

- كانت الأشجار وظلت بالنسبة لي الواعظ الأعظم تأثيرا في روحي، إني أبجّلها سواء أكانت تحيا في مجموعات أسرية في الغابات والبساتين، أو منفردة وحدها وكلما وقفت بمفردها يزداد تبجيلي لها..

- هل تشبهها بالأشخاص المتوحدين؟؟

- نعم، إنها تشبه المتوحدين ولا أقصد النساك الهاربين من ضعفهم الى الزهد والحرمان، بل العظماء الذين اختاروا العزلة، أمثال بيتهوفن ونيتشه.

- هل حدثتك الشجرة كيف تنجز مهمتها وتبلغ هدفها؟؟

- إنها ترفض وقوفها العاجز، تناضل بكل قوة حياتها وعزيمتها لتبلغ هدفها: أن تحقق وجودها وفق قانونها، أن تبني شكلها الخاص.

- دعنا من الأشجار الآن، أود أن اتساءل عن تناقضات أجدها في طروحاتك؟

- أعترف بهذا فأنا أخاطب نفسي: أنت تقول نعم لأشعة الشمس

ونعم لتخيلاتك الطاهرة، إذن عليك أن تقول نعم للقذارة والغثيان، للذهب والطين والفرح والألم في داخلك، عليك أن تتقبل كل شيء ولا تتجنب شيئا ولا تكذب على نفسك، أنت عصفور في عاصفة دعها تعصف وتمسك بزمامك.

5. طريق الخلاص يتجه الى القلب

- الحب حالة تتسلح بالرموز، كل حب لديه رموزه وأساطيره، هل حقا إن ما نحبه يغدو رمزا؟

- أجل إن ما نحبه لا يعدو كونه رمزا، فإذا استحال الحب ولعا بشيء واحد بإخلاص واحد، بفضيلة واحدة، عندئذ أحس بالإرتياب.

- ولكنك تعشق حياة الفلاح، الإنسان المخلص الذي يصمد ويزرع ويبني منزلا، ويقيم ملاذا يلجأ إليه..

- أحسده، فلقد بددت نصف حياتي محاولا أن أعيش حياته، أردت أن أكون مالم أتوصل إليه.

- ما الذي كنت تريد ان تكونه وتصبح عليه؟

- أن أصبح شاعرا ورجلا متوسط الحال في الوقت ذاته، كنت أريد أن أكون فنانا ورجلا طيبا ولازمتني هذه الرغبة فترة طويلة، حتى أدركت تماما أنه من الصعب أن أكون الإثنين وأحظى بهما معا، لا يمكن أن أكون شاعرا فنانا ورجلا طيبا.

- من المستحيل الجمع بين شهوة الترحال البدوية والنزوع الطبيعي الى الاستقرار الزراعي وبناء الملاذ.

- نعم أنا بدوي رحال لا يستقر على وضع أو حال، متغير وطموح للتجدد، أنا بدوي ولست فلاحا، لست رجلا يدّخر ويجمع بل أنا كائن ينفق حتى زمنه، كنت اؤنب نفسي أمام الشرائع وتعاليم الآلهة وهذا هو خطئي الأكبر واقترافي الآثم في زيادة أوجاع البشر..

- أنت كثير النقد لذاتك وتظهر معايب شخصيتك؟

- نعم لطالما كنت أخاطب نفسي وأزجرها وألومها واؤنبها عندما تضعف ولا تجيد اختيار طريقها، أعترف أنني كم زيّفت في قصائدي وكتبي، وكذبت على نفسي، ولعبت دور الإنسان المنسجم الحكيم السعيد المستنير.

- ألم تكن كذلك؟؟

- كنت ولم أكن، إنني بطريقة مواجهة نفسي ألعب كما يلعب المهاجمون في الحرب، ألعب أدوار الأبطال بينما هناك من ينتزع أحشاءهم، لست بطلا، الإنسان مبارز نفسه في المرايا، بخاصة الفنان المبدع ـ بخاصة أنا..

- هل تعترف أنك أضفت للعالم ما هو موجع ومؤذٍ؟؟

- نعم لقد مارست العنف على نفسي، ولم أمتلك الجرأة للمضي قدما نحو الخلاص..

- وما هو طريق الخلاص الذي تراه، أو الذي تقترحه؟؟

- سبيل الخلاص لا يتجه يسارا أو يمينا إنما يتجه مباشرة الى قلب الإنسان، هناك فحسب تجد السلام وقد تهاجمك الكآبة، لكن الإنفراج آتٍ.

- هل عانيت من هجوم العتمة على روحك وقاومتها؟؟

- مرارا امتدت أمواج العتمة على روحي، وشكلت ظلاً قاتما على عالمي، ظلٌ كريهٌ من الكآبة ينهض في أعماقي ولا أعرف له سببا ظاهرا، فتغدو جميع المتع زائفة، حتى الموسيقى التي أعشقها تبدو كثيرة الإبتذال، وتعمّ الكآبة كلّ الأشياء، يضطرب القلب في قلقه، أقاوم اللحظة التي أفكر فيها بالموت، أهرب منها، وأنا أعلم طوال وقت المحنة أن الراحة آتية والانفراج قادم..

- هل تعود إليك الدهشة فترى جمال العالم من جديد؟؟

- أجل، أرى كم جميل عالمنا وكم هي السماء فاتنة بنجومها، عندها يتلاشى اليأس من روحي وتعود الحياة مترعة بالمسرات والأفراح.

- هل تتركز حياتك حول شيء محدد؟

- مامن شيء مركزيّ في حياتي، فأنا أتأرجح بين أقطاب متناقضة: توق الى الإستقرار وتوق إلى التجوال، رغبة في الوحدة وتوق للحب.

6. في داخل كلّ منّا ذئبٌ برّي

تلجأ في روايتك الفريدة (ذئب البراري أو ذئب السهوب) إلى تحليل الكائن البشري وتفضح انطواءه على كائنات عدة، ولكنك تجعل ذئب البراري يقف أمام مبنى الكنيسة الحجري القاتم الذي لا منفذ فيه ويخاطبه بهدوء الواثق:

- نَمْ نوماً هانئاً، لن أوقظك، سيأتي الوقت المناسب الذي ستنهار فيه وتلصق عليك الإعلانات التجارية.

يشرع ذئب البوادي بمواجهة سلطة الدين في محاولة للتحرر من تشظي روحه بين المقدس والآثم، مثلما فعلت أنت حين هربت من الدراسة في الدير لتبحث عن نفسك في التجوال وتكشف عن ذاتك وتعريها للنور والظلمة والتجربة..

- ترى إلى أين يفضي وجود الذئب والإنسان في حالة تشابك داخل الذات الإنسانية؟؟

- هؤلاء الاشخاص لا تهيئ لهم الحياة أي قدر من الراحة، يعيشون أحيانا لحظاتهم من السعادة النادرة باندفاع هائل وجمال عصيّ على الوصف ويلامس بريق سعادتهم الآخرين بسحره فتولد الأعمال الفنية.

- تقول إن ذئب البراري يملك اندفاعا نحو القديس والمتهتك معا؟

- حتما، لأنه عاجز - نظرا لقصور ذاتي - عن الغوص في عوالم الفضاء الحرة فهو مغلول الى مجموعته الإجتماعية، وهذا هو موقعه من الكون وهذه هي عبوديته أيضا.

- هل تحدد لنا من هم البشر الذين ينتمون إلى فئة ذئاب البراري؟

- معظم المفكرين والمبدعين والفنانين ينتمون الى النمط نفسه والأقوى بينهم يشقون سبيلهم في العالم البورجوازي ويبلغون الكون اللامتناهي.

- وماذا عن الضعفاء منهم؟؟

- غالبا يتكيفون مع المجتمع ويخضعون لشروطه ويتقبلون تسويات مهينة، ويضطرون للتشديد على معتقداتهم لكي يتمكنوا من العيش وسط المجتمع..

- تقول: من المستحيل على ذئب البراري أن يظل هاربا من جحيم الجسد الى نعيم فلسفة عاطفية، فماذا بوسعه أن يفعل يا معلمنا هيرمان هيسه؟؟

- سيضطر الإنسان والذئب الى التعرف كل منهما على الآخر، بدون أقنعة المشاعر الزائفة، وسوف يتواجهان فإما أن ينفجر الوضع بينهما فيفترقان نهائيا، ويختفي الذئب إلى الأبد، أو يتوصلان إلى تسوية وتفاهم على ضوء السخرية والفكاهة.

- لماذا يرتاب ذئب البراري القابع في أرواحنا بكل شيء؟؟

- لأنه يخشى مواجهة نفسه فهو يرتاب بموقعه من العالم ويرتاب بالمفكرين.

- هل يشفق من معرفة حقيقته؟

- أجل، فهو ما أن ينظر في المرآة حتى ينكص منكمشا وقد تملكه خوف مريع.

- تعترف أيضا أن ذئب البراري لا يمكن تقسيمه الى ذئب وإنسان فتلك محاولة حمقاء، فكيف ننظر إليه؟

- للكائن المزدوج الذي هو نحن: مائة أو ألف ذات، وليس اثنين وحياته لا تتأرجح كحياة أي انسان بين قطبين كالجسد والروح والقديس والآثم، بل بين آلاف الأقطاب، أقطاب لا حصر لها: إنه نحن..

- بمعنى أن كل ذات إنسانية هي عالم متعدد الجوانب وكما تصفها أنت بأنها سماء مرصعة بالنجوم وفوضى من الأشكال والألـوان والحالات والمواريث والإحتمالات المختلفة..

- نعم الإنسان مثل حبة بصل مكونة من مائة غلاف، نسيج مكون من خيوط كثيرة وقد عرف الآسيويون البوذيون هذا الأمر عبر اليوغا وفضحوا أوهام الهوية الشخصية الواحدة بينما يتمسك الغرب بوهم وحدة الشخصية ولا يتراجع عنه.

- وإذن، فنحن جميعا مسكونون بذئاب البراري التي تجعل حياتنا جحيما متواصلا من الريبة والطموح والبحث والأمل.

7. عصر حضارتنا المؤقتة: عصر العمى الروحي

معلمنا هيرمان هيسه: تتحدث في روايتك الأولى ذات النزعة الرومانتيكية (بيتر كامينتسيند) عن عنصرين مهمين: عنصر الموت وعنصر الحب، وتؤكد في روايتك (لعبة الكريات الزجاجية) على أفق أكثر اتساعا يتخلله التأمل الهندي ومبدأ (الين واليانغ) من الفلسفة الصينية وترجح مبدأ القطبين المتقابلين في الفكر الشرقي بينما تتأثر بفلسفة القديس فرانسيس الأسيزي فتمنح أعمالك مسحة صوفية في موضوع أخوة الكائنات والإنسان في الحب وإمكانية انسجامهما لكن عمى الحضارة أدى بهما الى التنافر.

عندما تقف إزاء محنة الحضارة في القرن العشرين، تنعى حياة البشر المحشورين بين عصرين، الموجودين خارج كل أمان وبراءة وكأنك تنعى شعوبنا المحصورة بين القرنين العشرين والحادي والعشرين، هؤلاء الذين يعيشون كل لغز القدر البشري الذي تصاعد حتى درجة العذاب الشخصي - الجحيم الشخصي.

تصف في روايتك (ذئب البراري) حضارة القرن العشرين بأنها حضارة مؤقتة وكأنك تتحدث عن فوضى ما بعد الحداثة فمعها تمثل الفنون والفكر حالة بائسة مفككة مقارنة مع حضارة حقيقية، تتساءل:

- هل أن كل ما أرهقنا رؤوسنا به من فكر وفن - نحن الحمقى المساكين - لم يكن سوى سراب؟؟ أليست هذه نظرة أقرب إلى العدمية المفرطة في انفصالها عن تيار الحياة الحيوي؟

- للأسف أن كتابي (ذئب البراري) هو أكثر كتبي عرضة لسوء الفهم، فقد تبناه البعض ممن رأوا في أنفسهم شبها بذئب البراري، متناسين أنني قدمت في الكتاب أزمة الانسان الذئب باعتبارها مرضا وأزمة حضارة - ومقابلها قدمت أطروحتي التي تناقش مسائل الروح والفنون والفكر والأشخاص الخالدين، هذه الأطروحة التي تقابل معاناة ذئب البراري بعالم خصب من الإيمان السرمدي بالحياة والجمال..

- لكون الكتاب مفعما بالروح الشعرية فهو قابل للتأويل وسوء الفهم بطرق مختلفة.

- نعم هذه مشكلة الكتابة الشعرية التي تعكس الكثيرمن سوء الفهم والإلتباس.

- يقول ذئب البراري: في هذا العصر الممل المجنون من فرط العمى الروحي، هذا العصر بطرازه المعماري وتجارته وسياساته ورجاله، كيف لي أن لا أغدو ذئبا متوحدا وناسكا غريب الأطوار وأنا لا أشارك هذا العصر هدفا واحدا من أهدافه..؟

- هو يؤمن بأن البشر في معظمهم خلقوا للحياة وليس للفكر، وأن من يفكر ومن يتخذ الفكر عملا له فإنه يقايض الأرض الصلبة بالماء وسيغرق ذات يوم، هذا العالم وجد للحياة الزائلة العابرة.

- لكنه سيقابل المرأة - القدر - المصير هيرمينا وهو موشك على الهلاك، تفتنه تلك الفتاة الجميلة الذكية وهو لا يعرف حتى إسمها، وتلعب معه لعبة قدرية، وتقول له خمن من أكون..

- لأن المرأة هنا تمثل المصير المتربص الذي يسحب الرجل الى كل ما هو جميل وهش وممتع وسريع الزوال، تسحبه من عالمه واهتمامه بالأفكار وموسيقى موزارت لتعلمه الرقص على موسيقى الجاز التي تمثل سمة عصر الانحطاط، وتدعوه لنيل الملذات العابرة فهو إنسان قبل كل شيء وعليه أن يبتهج بالطعام الجيد وصحبة النساء والرقص وينسى لبعض الوقت معاناته الفكرية.

- كم تشبه نظرتها فلسفة صاحبة الحانة (سيدوري) في ملحمة كلكامش، فهي تعزف على النغمة ذاتها في دعوتها الأبيقورية لكلكامش الباحث عن الخلود؛ فتدعوه للمرح والتمتع بأطايب الحياة المتاحة مِن طعام وشراب وجنس ولكنه لم ينصت إليها ومضى في مهمته الكبرى: البحث عن عشبة الخلود، ولكن هل استسلم ذئب البراري للدعوة؟

- أجل انصاع وهو يصارع عاداته في العزلة وسماع موزارت وباخ، وصارت هيرمينا تأمره وينفذ أوامرها، إنها تمثل روح العصر المتردية الواعية لبساطتها وحاجاتها البدائية: الطعام والجنس والصحبة.

- أهذا قدَرُه؟؟

- بل تلك محنته.

8. إيفا: المرأة الكونية – المصير

بعد رحلتك الى الهند، عدت لتجدد نفسك عبر الرؤى التي تراءت لك في آسيا، لكنك صرت ذلك المكتئب الحزين لفشل زواجك كفنان مبدع من زوجة لا تتورع عن تعذيبه بطلب المال والسكن في مدينة تختارها هي، ثم تصاب زوجتك بمرض عصبي وتودعها في المصح ويمرض ابنك الصغيرمرضا كاد يودي بحياته ثم تبعت ذلك وفاة والدك كيف واجهت الحياة والزمن وكل تلك الآلام الفظيعة؟

- في البدء استسلمت لاكتئاب شديد كاد يدمرحياتي ثم خضعت للتحليل النفسي وتكفل بذلك برنهارد لانغ تلميذ يونغ الذي أعاد وضعي على الطريق الصحيح للحياة، وفتح أمامي مسار التحليل النفسي الذي استفدت منه في أعمالي كلها.

- نجحت روايتك الأولى (بيتر كامنتسند) وتبعتها بكتابة روايتك الجميلة (دميان) خلال الحرب العالمية الأولى والتي قال عنها توماس مان «إنها كهربت جيل العائدين من الحرب وأنها بدقتها البالغة مسّت عصب الحياة».

- كانت (دميان) عن مشكلة المراهقين الذي يقتلعون من أحضان عوائلهم ويلقى بهم في مواجهة الحياة والحرب واكتشاف الذات والمرأة العرافة الناضجة.

- هناك شخصيتان نسويتان مؤثرتان في روايتيك «ذئب البراري»

و«دميان» أيهما الأقرب الى روحك وتركت تأثيرها في حياتك ونظرتك الى العالم؟

- الحقيقة لقد وضعت كل أحلامي في المرأة الخالدة أم ماكس في رواية (دميان)، جعلتها المرأة الناضجة مرتدية السواد العرّافة الخالدة، منحتها الصوت العميق الدافئ، الذي يتشربه المرء مثل خمرة حلوة، وجعلت وجهها هادئا بعينين سوداوين عميقتين لا يسبرغورهما، ومنحتها شفتين طريتين ناضجتين وجبينا صافيا يوحي بالعزم.

- نعم أنت جعلتها عرّافة لأنها ما أن رأت صديق إبنها حتى عرفته: أنت سنكلير ولديك العلامة على جبينك.

- سنكلير الذي هو أنا - قبّل يديها وقال لها:أظن أنني كنت أمشي طوال حياتي وأنني وصلت الآن الى بيتي.

- المرأة المعشوقة العرافة قالت لسنكلير: المرء لا يصل بيته أبدا ـ ولكن حيث الطرق المتآلفة تتقاطع مع العالم كله يبدو للمرء كأنه البيت لوهلة قصيرة.

- تبدت المرأة لسنكلير كأنها المصير- مصيره الشخصي - وشعر أن الأمر سيكون واحدا سواء ستكون أماً أو معشوقة أو إلهة - يكفي أنه وجدها وهي حاضرة في العالم.

- لكنه لم يقتنع بل سألها: يا أمي، هل الطريق صعب بنفس القدر على كل إنسان؟

- لم تمنحه جوابا شافيا، قالت إن الولادة صعبة دائما، أنت تعرف أن الفرخ لا يخرج من البيضة بسهولة، الطريق صعب ولكنه جميل أيضا لا يوجد طريق أجمل وأسهل.

- سنكلير قرينك يرد عليها: لقد كان الطريق صعبا جدا حتى أتى الحلم.

فتقول له بحزم يفزع سنكلير: يجب أن تعثر على حلمك وعندها

يمسي كل طريق سهلا، وأعرف أنه ليس ثمة حلم يدوم إلى الأبد، كل حلم يعقبه حلم آخر، وعلى المرء أن لا يتعلق بحلم محدد.

- ترى هل كنت تشير إلى رعب الإنسان وطلائع النذر المفزعة التي تلوح له في الغد؟؟

- أجل كانت إشارتها للحلم مروعة، لكن سنكلير يفاجؤها بقوله «إنه يتمنى دوام حلمه إلى الأبد فهو مصيره» فترد عليه (فراو إيفا) ينبغي أن تبقى مخلصا لحلمك.

- وإذن كان اسمها إيفا - حواء،إنها المرأة الكونية، الأم والمعشوقة والإلهة معا.

9. هيرمينا: إمرأة الحياة وذئب البراري

ذئب البراري، وبعضهم ترجمه الى العربية - ذئب السهوب او ذئب البطاح - او ذئب البوادي، عزم - وهو يبحث عن ذاته - في لحظة من لحظات الألم واليأس من العالم والبشر أن ينهي حياته، ولكنه يلتقي بامرأة تفتنه، فتاة جميلة ذكية لم يكن يعرف شيئا عنها، يشتري لها زهرتين من زهورالأوركيد الثمينة ويلتقيها في الحانة، لا يعرف إسمها لكنها تلعب معه لعبة التخمين المراوغة: هل تخمن ما هو إسمي؟

وعندها تبدأ لعبتك التي تمارسها في جميع كتبك، لعبة إقحام اسمك في النص وإن لم تقحم الإسم كاملا فإنك تستخدم حروفك هـ. هـ.

يقول لها الرجل الذئبي المستوحد: لو كنتِ صبيا لقلتُ لك إن إسمك هيرمان.. فتقول المرأة المغناج معابثة: من يدري لربما كنت صبيا في ثياب امرأة.. فيبادرها الرجل: إذن اسمك هيرمينا؟؟

كان تخمين هاري صحيحا: إنها هيرمينا، صنوك الأنثوي، كان هاري منبهرا بسرعة تنقّلها هي امرأة المتع العابرة بين حالة الجدية الرصينة والمرح والضحك مثل طفل نزق... في هذا المشهد - أيها المبدع الماهر- تعقد علاقة غرائبية بين هيرمينا وهاري هالر الذي يسأل الفاتنة الجميلة: كيف نجحت في الظهور بمظهر صبي وجعلتني أخمن اسمك؟؟

تقول هيرمينا المراوغة: أنت من فعل ذلك. ألا تكشف لك ثقافتك أنني مصدر بهجة لك؟؟ وأنني أشبه بمرآة تعكس صورتك؟ ببساطة أنا

أملك شيئا يجد صدى عندك، علينا جميعا نحن النساء والرجال أن نكون مرايا يعكس كلّ منا الآخر ونكون صدى وجوابا كلّ منّا للآخر.

هنا كنت أراك، أنت هيرمان هيسه وليس هاري هالر عندما هتف هاري مذهولا:

- إن الأمر كما تقولين تماما، ومع ذلك فنحن مختلفان، بل أنك على طرف نقيض مني - لديك ما أفتقر إليه..

وترد هيرمينا عليك وعلى هاري هالر: هذا ما تريد أن تراه ولذا عليك أن تمتثل لأوامري لأنك من طراز الرجال الذين يودون أن يتلقوا الأوامر، ولهذا نشأت الصداقة بيننا، عليك تنفيذ أوامري وإلا ستندم، وهي أوامر جميلة وسوف يسعدك ان تمتثل لها، سوف تنفذ آخر أوامري..

ألست يا أستاذنا هيرمان هيسه كنت تتلبس شخصية هاري حتى الأقاصي وكنت تمتثل لأوامر الحياة ومتعها العابرة؟

ولكن صوت هاري يسأل هيرمينا، وماهي آخر أوامرك؟؟

نعلم أنك حاولت الإنتحار مرارا في منعطفات حياتك المضطربة وفي فترة اكتئابك، فكنت تنقل تجربتك إلى هاري هالر وهيرمينا التي تصفها بأنها بدت في مظهر شؤم وهي تعترف بأنها ليست حكيمة لكنها ستلعب مع هاري لعبة مقابل الحياة والموت - نوعا من مقامرة ثمنها موت أحدهما.

تعلن هنا عن رغباتك الشخصية التي ألبستها لهاري حين تفصح هيرمينا عن كونها أنقذت هاري من فم الموت ونبهته الى حياة جديدة تختلف تماما عن حياة المرأة الخالدة العرافة التي وجدها سنكلير في رواية «دميان» فهنا وجه المرأة البدائي، المرأة التي تجعل الرجال يقعون في غرامها لأنها تعتاش من هذه المهارات في الغرام العابر، تقول لهاري:

- أنت تحتاج إليّ لأنك إنسان يائس وأنا أحتاج إليك لكني لا أحب

أحدا، أنت تحتضر ولا تجد من يعيدك للحياة، سأعلمك أن تضحك وترقص وتعيش مع المرأة..

هنا تجعل الخلاص بالجنس والرقص خلاصا مؤقتا فالموت يتربص بالاثنين في لعبة الحياة والموت.

10. لعبة الكريات الزجاجية:

أحجية الزمن وكتاب الخلاصات

عندما استعيد قراءتي لروايتك العظيمة «لعبة الكريات الزجاجية» وأتذكر ذلك الغموض الفاتن الذي أحاط بي وأنا أتجول في متاهة مسكونة بالموسيقى والرياضيات وعجائب العلوم وأتوقف برهة لأتملى كنوز الحكمة المشرقية التي تشع أنوارها في منعطفات الرواية، أدرك لماذا إعتبر المخرج الروسي (أندريه تاركوفسكي) لعبة الكريات الزجاجية «الكتاب الروحي الذي ترك أكبر الأثر في حياته» وكذلك في أعماله السينمائية السبعة التي كرّس لها شاعريته وفلسفته..

- هل كنت عازماً حقاً على كتابة رواية خلاصية كآخر كلمة تختم بها حياتك الثرية والمضطربة؟؟

- هل تذكرين القصيدة القصيرة التي افتتحتُ بها روايتي؟

- أجل سأقرأها لك:

وتبدأ في وجداني لعبة أفكار
إهتممت بها منذ سنوات
إسمها «لعبة الكريات الزجاجية»
إختراع جميل
هيكلها الموسيقى
وأساسها التأمل..

- حسناً، روايتي قلعة موسيقية شيّدتُها في قصر (كاستاليا) تمجيداً للعصر الكلاسيكي - عصر الموسيقار (باخ) وعصر التنوير الفكري، القلعة مخصصة للتأمل في الحياة الإنسانية المحدودة الطامحة لما هو أبعد مدى من قدراتها الفيزيائية، وهي كتاب في الفلسفة والرياضيات والثقافة والتأريخ والحكمة، وبخاصة هي كتابٌ عن عظمة الموسيقى..

- مِنْ هنا حيرة الكثيرين أمام تسميتها بـ (الرواية)؛ فهي لاتنطوي على حكاية أو حبكة كعهد القراء بالرواية التقليدية.

- ولماذا عليّ أن أمتثل لمحدّدات مسبقة في الشكل الروائي؟؟ إنّ مفردة رواية في معظم اللغات الأوروبية القديمة تعني (اللاشكل)، وقد أردت للعبتي الذهنية أن يكون لها شكلها اللامسبوق؛ فهي رواية ترد على عصر الحروب، عصر ثقافة التسلية السطحية، وبالأحرى عصر الخراب الروحي والثقافي.

- وماهي وسيلتك للرد؟؟

- الموسيقى والتنوير والتأمّل..

- تقول على لسان إحدى شخصياتك: (لو أخذنا الاستعداد المطمئن للموت، كما في أعمال باخ، فإننا نجد فيها دائماً العناد والشجاعة أمام الموت، ونجد فيها الفروسية، ونغمة مِن ضحك فوق مستوى البشر، وإشراقاً خالداً لا يموت. هذا ماينبغي أن ينبض في لعبنا بالكريات، وينبض في حياتنا كلِّها، وينبض في ما نفعل وفي ما نعاني). هل كنت تفكر بالشيخوخة المهينة التي تداهم الإنسان وهو في قمة توهّجه الفكري وفي برهة اجتناء خلاصات حياته؟؟

- في معالجتي لأحجيات الزمن وشيخوخة الجسد جعلتُ روايتي تتّخذُ مساراً مقتبساً من الفلسفة الهندية القائلة بالتناسخ، أردت للرواية أن تواصل النمو والحياة؛ فما أن تنتهي القصة - الحكاية حتى تعود للبدء من جديد، ولعلّ في هذا يكمن ردّي على الفناء المحتوم.

- ومن هنا بدأتَ بعد موت البطل (يوزف كنشت) برواية قصص أخرى عنه لتأكيد الإستمرارية الحيوية..

- بل أردت أيضا الإشارة إلى ديمومة روح الثقافة في الزمن..

- إستغرقتَ أكثر من عشر سنوات في صياغة رائعتك هذه؛ لكنها للأسف لم تُنشَر في بلدك بل اضطررت لنشرها في سويسرا..

- لاتعنيني الأمكنة؛ فهي تتداخل تداخل الأزمنة والثقافات، أؤمن بوحدة الثقافات، زمنُ حياة لعبة الكريات هو ذاته زمن صعود النازية والخراب، كنت أعمل فيها من سنة 1931 وأنهيتها قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية..

- هل كنتَ تتجنبُ البشاعة النازية بـ (اللعب)؟

- هذا إذا كنتُ حقاً قد أردتُ التعبير عن فلسفة (شيللر) التي تُرجِع جميع أنشطة الإنسان إلى أمر واحد هو اللعب.

- بمعنى أنك كنتَ تعبّر عن رفضك للحرب ومايدور حولك من قتل وسفك دماء بهذا (اللعب) بكتابة رواية تتحدث عن الصفاء والجمال الكامنين في التأمل والموسيقى والرياضيات.

- هذا مافعلتُه بالتأكيد.

- شدّدتَ كثيراً في كتابك (رحلة الشرق) على موضوعة اليأس الإنساني الذي ينتهي إليه كلّ من يحاول جاداً أن يفهم الحياة الإنسانية ويجد لها مبرّراتها. هل كنت تخطّط في (رحلة الشرق) للعبة الكريات الزجاجية؟؟

- تناثرت بذور الكريات في معظم أعمالي حتى نبتت ونمت شجرتها في قلعة كاستاليا، تجدين بعض شذراتها في (بيتر كامينتسند) مثلما تجدينها في (رحلة الشرق) وربما في (تجوال) وحتى في (ذئب البراري)..

- يحدث هذا لمعظم الكُتّاب. هل كانت فكرتها تهيمن عليك طوال تلك السنوات؟؟

- كتبتُ أعمالاً عديدة وكانت لعبة الكريات تراودني، كتبتُ قصائد كثيرة، وقصصاً، واستخدمت بعضاً من قصائدي التي انطوت على بذور هذه الرواية في خاتمة الكتاب..

- وجدتُ أن تلك القصائد كانت إشارات ضوء لتفسير بعض غوامض الرواية، أكنت ترمي إلى هذا؟؟

- بل اختزلت القصائد مجمل أفكاري ورؤاي عن الحياة الإنسانية والمعرفة. خذي - مثلاً - هذا المقطع من قصيدة (درجات):

كما تذوي كلّ زهرة ويتزحزح كل شباب
أمام الشيخوخة، تزدهر كل درجة من درجات الحياة
تزدهر كلّ حكمة وكذلك كلّ شباب
في أوانه، وليس له أن يدوم أبداً..

- إنها القصيدة الأشدّ بريقاً بين تلك القصائد المنسوبة إلى التلميذ، وقد أحببت هذه الأبيات:

ولابد أن يكون القلب عند كل نداء من نداءات الحياة
مستعداً للوداع وللبدء الجديد
وفي كل بدايةٍ سحرٌ
يحمينا ويساعدنا على الحياة..

- هنا وقعتِ على خلاصة الحكاية..

مناجياتٌ مع غابرييل غارسيا ماركيز

1. ديك شهرزاد وماكوندو

لم يعرف القرن العشرون صانع أعاجيب يضاهيك أيها الساحر ماركيز، فقد مازجت بين موروث الشرق والغرب وابتدعت وصفة جديدة للواقعية السحرية تخطت سحرية خوان رولفو الذي يعد المؤسس الأول لها في روايته الفذة «بيدرو بارامو»

في مطلع الثمانينات، وقد توجوا أدب أميركا اللاتينية في شخصك، عندما «وضعت جائزة نوبل في جيبك» كما علق صديقك ومنافسك الروائي المكسيكي كارلوس فوينتس - كنت أقرأ رائعتك الخالدة «مائة عام من العزلة»، وكانت متاهتك تفوح بروائح عتيقة وَخِمة ومالحة من بقايا تخليق العالم وهي توقظ الكائنات وتدعوها لاجتناء المتع من النساء والثمار والنبيذ والاختراعات والحروب تأسيسا على «مبدأ اللذة» الذي تلوّح به روايتك بعد أن تجاهلته تعاليم الغرب الدينية طوال العصور الوسطى وتمسكت بتعذيب الجسد لبلوغ خلاص الروح لكنك دعوت للفكرة الإحيائية ورؤيتك للروح في عبارتك الكاشفة «كان الغجري يصرخ بصوت أجش: للأشياء أيضا حياتها الخاصة والمسألة هي في إيقاظ روحها». وهكذا كان، وأيقظت أرواح الجماد والشجر في روايتك وزاوجت بين عالم الشرق والعالم اللاتيني، عالم العزلة الغرائبي ومخلوقاته وغجره وشبق كائناته الحزينة وهذياناتها وعالم «الف ليلة وليلة» الذي نشأنا على عجائبه وحسّيته ومكائده. ووجدتني وأنا اقرأ روايتك المدهشة - في متاهتين: مئوية ماكوندو،

وألفية شهرزاد. سحرتني عوالمك الخيالية ومدنك وقبائل البشر صناع الخوارق ولفحتني أدخنة من كآبة ماكوندو ومواكب السحرة وتناوبتني شعوذات الساحرات الشرقيات اللائي وزعتهن شهرزاد بين البراري وقصور البلور، ورأيت الرجال مبهورين أمام الأشجار التي تثمر نساء طازجات والفتيات الحسناوات في ماكوندو يحلقن الى السماء بأجنحة نورانية، بينما ينشغل أحد أبناء آل بوينديا ببذر أطفاله في أرحام فتيات القرى التي يمر بها فصيله العسكري ليتكاثر نسله المحرم في الأصقاع النائية وتنتشر لعنة أسرته بين القاتل والمقتول.

كان للسماء حينها لون اللهب وشجن أغنية حب يتصادى بين قوافل المترحلين في البراري فإذا بالأم الكبرى (اورسـولا) سيدة الذاكرة وصانعة حلوى السكاكر، تتهادى بمشيتها العرجاء وتجرجر خلفها أعوامها المائة كذيل طويل من الحسرات وتطرق نافذتي بزهرة بغنونيا وردية وهي تحمل في يدها الأخرى ديكا بألف ريشة ملونة وتهمس في ضباب الرؤيا:

- أعيد لكم الديك الذي أخرس شهرزاد في كتابكم، فقد اقتفى أثر صوتها حتى وصل قريتنا ماكوندو الحزينة، نحن لانحتاج ديكا ينذرنا بقدوم الصباح ويبدد أحلامنا ويوقف سيل القصص لأننا نحيا في ماكوندو بالحكايات والعجائب ونتغذى على رحيق الأحلام، أما أنتم فيبدو أنكم توقفتم عن الحلم واستسلمتم لترهات العيش والانصياع لما تؤمرون به وأهدرتم دم الخيال، لكننا سنواصل في قريتنا الصغيرة ارتياد الأحلام وسرد القصص ولن نتوقف عن الإيمان بسلطة الخيال.

ديك شهرزاد الذي كان يضبط إيقاع الحكي الأنثوي كل فجر، لم يحتمل صبر شهرزاد واحتيالها في تأخير مصيرها فأصابه ملل الذكور ونفاد صبرهم واختار التخلي عن انضباطه ومهمته العتيقة مغتاظا من ألاعيب شهرزاد وشعوذات الأنوثة، فشرع يصيح وينفش ريشه ليل نهار ليطغى ضجيجه على كل صوت فسكتت الساردة الأولى وغابت

في سبات طويل كأنه الموت، وماعادت قصصها تطوف الآفاق وتبلغ الأسماع، حتى أيقظها رحالة غرباء صحبوها إلى بلاد الغال، فأعاد لها صوتها الأديب الفرنسي «انطوان غالان» الذي قدم للثقافة الأوروبية أول ترجمة لألف ليلة وليلة ليتأثر بها غوته في روايته «فيلهلم مايستر» وبورخيس في قصصه العجائبية وكويلهو وأندريه جيد وآخرون.

2. قد لا نبلغ البحر ولكن لن نعود إلى الوراء

تعلم ما قاله أندريه جيد بأنه يُعـدّ «الف ليلة وليلة» من بين أعظم ثلاثة كتب في العالم. وقبل هذا وبعدَه ترددت أصداء الحكايا في آداب عالمنا، أفاقت شهرزاد من سباتها الدهري وطافت فوق القارات حاملة كنوز سردها الساحرة، عبرت المحيط الى الأرجنتين وفاجأت كاتبها الشهير «خورخي لويس بورخس» وأقامت أعواما في مكتبته وغاصت في «كتاب الرمل» العجيب وتاهت بين صفحاته اللانهائية ثم لم يَرُقْ لها المقام هناك بالرغم من مخيلته الجبارة، سئمت لغته المعقلنة وارتيابه وافتقاده إلى الرومانسية، كان يقول لها «أنا رجل أدب وحروف حسب»، نسج حكاياتها بخيوط متشابكة غامضة وسجنها في مكتبته وهي امرأة جامحة تعشق اللهب وقوس قزح الرغبات وتهوى البدء والنهايات ولا تطيق التلبث في حالة راكدة، حتى تناهى اليها أنك الشاب المدعو «غابرييل غارسيا ماركيز» في مدينة «اركاتاكا ماجدلينا» تنسج الحكايات من الجمر والأحـلام والشهوات والسحالي والمطر، فتسللت من بوينس آيريس الى «أركاتاكا» وقدمت لك هبة ثمينة من حكايات الجن والتحولات وغادرت متاهتك الى الأوروغـواي والبرازيل وتشيلي ومازالت تجوب العالم وتنثر حكاياتها على الجزر والقارات.

أما نحن فقد ضاعت خطانا في تيه ماكوندو، كنتُ كلما قرأتُ فصلا في «مائة عام من العزلة» تتداخل أسماء أبطالك ويتفاقم الغموض والحيرة، أمضي في المتاهة المحتشدة بالأموات والعشاق والغجر والسحرة،

فتختلط الأسماء وتتكرر كل جيل، حينها عمدت إلى رسم شجرة نسب لعائلة بويندبا باللونين الأحمر والأسود لأستدل على سكان العزلة المنذورين للخلود، وكانت تلك المرة الأولى والأخيرة التي أعترف فيها بأشجار النسب التي أعدها لعبة عنصرية، غالبا ما يلفقها البشر ليقولوا: ها نحن الأكثر عراقة منكم أيها الناس، ولبثت شجرة أنساب عائلة بويندبا مخبوءة بين صفحات روايتك العظيمة «مائة عام من العزلة» إذا ما قدر لتلك النسخة أن تنجو من العدم الذي حاق بمنزلي حين اقتحمه جنود المارينز ثم الإرهابيون وبعض الشواذ من أبناء البلد وسرقوا ودمروا ما وقع تحت أيديهم وأهانوا الكتب ووطأوها بأحذيتهم، تراءيت لي حينها واقفا وسط مأتم كلماتنا وحيواتنا المهدورة تسخر من فظاظتهم بصمتك الشاهق وتنير العتمة بمصباحين تحملهما بيديك ولما دنوت منك رأيتك تحمل روايتيك «خريف البطريارك» و«الحب في زمن الكوليرا» وهما تشعان نورا وسط الدخان والعتمة وسألتك أن تعلمني شيئا وأنا أخوض المحنة وحدي، التزمت الصمت بُرهة ثم ابتسمت وقلت لي بنبرتك الحكيمة الساخرة:

«لا أحد يستطيع تعليم الحياة للآخرين"

.خذي الحياة وانجَيْ بنفسك وأحلامك، ألا تذكرين كيف سار خوسيه أركاديو بويندبا عبر الجبال مع صحبه ونسائهم وأطفالهم وحيواناتهم هرباً من عار زواجه بابنة عمه أورسولا واحتمال إنجابهما أبناءً بذيول خنازير؟ أمضوْا عامين في مسيرتهم المنهكة، لكنهم فضلوا عدم العودة للماضي وساروا قدما لبلوغ البحر ولم ينقذهم سوى «حلم» فقد رأى خوسيه بويندبا في حلمه مدينة جدرانها من المرايا وعندما سأل عن إسمها قيل له إنها «ماكوندو» فأعجبه الإسم وأقنع صحبه بأنهم مهما ساروا فلن يجدوا الغد ولا البحر فليؤسسوا مدينتهم هنا عند النهر.

– أجل أيها الساحر ماركيز، قد لا نبلغ البحر ولكن لن نعود إلى الوراء.

قلت لي بعدها «إن قصص الحياة السعيدة لا تدفع بعالمنا الى الأمام بل إن ما يحرضه ويجدده وينقذه من التحلل والفناء تلك القصص والأحداث التي تقترن بالمآسي» فاحتضني محنتك وأحلامك والحكايا وحاولي صنع مدينتك المتخيلة.

3. قوة الكلمات من قوة الأنوثة

قبل أن أمضي لصنع مدينتي المتخيلة، كانت الكلمات تتراقص فوقنا مثل يراعات مضيئة منفلتة من مجلدات ألف ليلة طبعة بولاق، بالغلاف الأزرق المذّهب وهي تغرق في ماء سكبه المقتحمون على الكتب، رفعت يدك وقلت:

- لن تفنى الكلمات، هكذا تقول حكمة مشرقية ففي الكلمات خبأت الآلهة آمالنا وما علينا سوى إيقاظها وإدامتها بأصوات النساء كما فعلت شهرزادكم، لقد أيقظت آمالي بصوت رفيقة حياتي مرسيدس ومن صوت جدتي ولغتها الخلابة وهي تروي الحكايات، بدأت أشّيد «ماكوندو» قرية العزلة والعجائب ولم يحدث في حياتي أمر ذو قيمة حتى ظهرت جدتي في بيتنا وأنا في الثامنة.

تنبه الجميع لكلماتك، وكان ابن طفيل يواسي الجاحظ وفريد الدين العطار يجادل طائر السيمرغ ويزجر البوم، وأندريه جيد وأبو نؤاس يبحثان في «قوت الأرض» ويعددان الرغبات المندرجة في متنه، وانطوان دي سانت اكسوبيري يجمع دموع «الأمير الصغير» في إناء كريستالي ويقدمه الى «حي ابن يقظان» الهارب من أمه الغزالة الى وحشة الحياة، وميشيما يعيد تجسيد حلمه الإمبراطوري بانتحار بطولي فتعدو «الخيول الهاربة» على «ثلوج الربيع» وتستيقظ «الجميلات النائمات» فزعاتٍ لدى انتحار كاواباتا بالغاز.

أسألك بغتة: لماذا أعدت صياغة حلمك الإيروتيكي بغانياتك

الحزينات وهن يقلدن جميلات كاواباتا فتحولت الرواية إلى عثرة فنية وكان حسبك وحسبنا ياساحرنا مجد رواياتك العظيمة؟ تبتسم ولا تعلق.

حضرت غابريلا ميستيرال وكورتازار وابن المقفع ورأيتك تمسك بيد أستورياس وغاليانو وفارغاس يوسا وشكلنا جوقة لتسلية الأصدقاء الحزانى الذين أسقطهم المقتحمون عن عروشهم وتنكّرنا بأقنعة متمردين وعشاق وشرعنا نغني للحب والحرية وأشواق البشر فاستيقظ سرفانتس ولوركا وابن زيدون وابن الفارض على ضجيجنا ونحن نستعيد مشهد القتلة يحطمون الأبواب ويقتحمون بيوتنا ويطلقون النار على خارطة العراق وصور الأطفال وأرواح الكلمات وأساطير الذاكرة وآلهة سومر ولوحة ليليث والمصابيح وأقداح الشاي وزجاجة العطر والمرايا.

بعضنا شرع بالنحيب وهو يؤدي دوره، آخرون انفجروا ضاحكين وبكى جليل القيسي ونظر بعينين غائمتين الى قلعة كركوك وأطياف نازك والسياب والبياتي، رقصت إيزابيل الليندي على أنغام السالسا والتانغو التي عزفها فكتور جارا بأصابعه المقطوعة، ومسح إبن رشد دموعه بجبة الحلاج وأخذ أمين معلوف يضمد جراح الشاعرة سافو وكونديرا يسأل صديقتي الأثيرة هندية الروح والسجايا أنيتا ديساي:

- هل عانيت من متلازمة الهوية سيدتي؟

تضحك أنيتا ديساي ضحكتها الرصينة وتنهمر خصلة من شعرها الرمادي على جبينها وترتب رداء الساري على كتفها الأيمن وتشير الى إدوارد سعيد وهو يقف خارج المكان يقود أوركسترا غير مرئية وتقول:

- إسأل ادوارد سعيد وأمين معلوف عن معضلة هوياتنا..

تجلس فيرجينيا وولف ساهمة متخففة من أثقال الحياة هي وسلفيا بلاث وفدوى طوقان وأناييس نن في ركن المذكرات ويتهامسن بحديث ينضح منه سحر الأنوثة وحدوسها وقدراتها الخلاقة.

تيار هواء عنيف يهب عاصفا من النوافذ الواسعة التي تحطم زجاجها،

فتتناثر الكلمات والدموع على السجاد والأرائك البيضاء والمناضد والوسائد وترتطم الكلمات بالجدران وأصوات الرصاص والظلال المحفورة على الساعات والأنفاس المتجمدة على الستائر ومونولوغاتي الحزينة المرابطة في المكان. فيسقط تمثال إلهة الخصب السومرية ويتحطم محدثا ضجة مريعة، نفزع جميعا ونعلن أسفنا والأسى، فترفع يدك بوردة صفراء كانت لاتفارقك وتقول:

- لاتهتموا أصدقائي أبدا، فالأنوثة ستحمي قوة الكلمات وتعلمنا البقاء، فهي مبتكرة الأساطير ومخصّبة أرواحِنا وأجسادِنا واللغات.

4. رائحة الجوافة وفيرجينيا وولف

غادرت مدى الرؤيا ووجدتنا نجلس في مقهى على رصيف مدينة مدارية ربما هي مدينة قرطاجنة الساحلية. وكان الحر مهلكا وقد فاحت روائح الثمار العفنة التالفة من دكاكين الباعة، قلت لي أنك تميز رائحة الجوافة بين جميع الثمار التي يلقونها في زوايا الشارع، وقلت أنها فاكهة رمزية تمثل رائحة المدن الكاريبية الحارة ونساء الحانات والبحارة الثملين والخمرة الرديئة وأحلام القراصنة ووتيرة الفناء المتسارعة.

سألتك أن تحدثنا عن فيرجينيا وولف التي أعشق أعمالها، لكنك رويت لنا قصصا عن نساء عائلتك وقدراتهن الخارقة في التنبؤ: خالتك فرانسيسكا التي رأيتها تنسج كفنها وكنت في الثانية عشرة وسألتها: لمَ تصنعين كفنا ياخالتي؟ فأجابتك: لأنني سأموت ياولدي. وعندما أنهت نسج كفنها استلقت على السرير وأغمضت عينيها وماتت، كنت الصبي الوحيد بين حشد من النساء وبينهن عرفت قوة الأنوثة ومعجزاتها واختلافها الجوهري عن عالم الرجال.

احتسينا شاي المتّة بقصب من قش وشاركنا أصدقاؤك ميندوزا ورامبو وكافكا، وسمعتك تصف لهم صديقك نيرودا بأنه ميداس الشعر فكل مايلمسه يصير شعرا صافيا، واستغرَقَنا حديث ممتعٌ عن الصداقة بين النساء والرجال واعترفت لكم: لدي أصدقاء رجال أكثر من النساء فمعهم يمكن أن نتحاور في الفلسفة والتصوف والفنون والعلم والأدب، وقلت إنك تؤثر صحبة أصدقائك الرجال على النساء لأنك تشبعت

بإشعاعات الأنوثة في صباك عندما كانت جدتك دونا ترانكلينا تروي لك القصص وتتحدث مع الأموات كأنها تجالسهم، وكانت خالاتك يبحرن في الذكريات والأحلام ولا يفرقن بين السعادة والجنون، وبفعل الغرائب التي اعتدتها منهن تعاملت مع الأمور الاستثنائية الخارقة على أنها أمور واقعية فالواقع كما ترى أشد غرابة مما نتخيل.

طافت أشباح الجدات حولنا وأحسست بحفيف أثوابهن وكنت تضحك وتشير إلى شيء في الفراغ وتقول: إنها جدتي ترانكلينا التي استخدمت أسلوبها في الحكي لكتابة روايتي «مائة عام من العزلة» فلا تخافوا.

سألك ميندوزا متحفزا: أنك تذكر هذه الرواية كثيرا لكنك تحب «خريف البطريارك» جدا وتتنكر غالبا لمائة عام من العزلة، لماذا ياصديقي؟

همست بشيء من المرارة:

- «مائة عام من العزلة» كانت رواية دعابة، ونجاحها دمر حياتي تقريبا، واضطرب كل شيء بعد نشرها، الشهرة تؤدي إلى اضطراب إحساسك بالواقع - مثلما تفعل السلطة بالمرء - وتواصل تهديدها لحياتك الخاصة ومهنتك، لم يكن نجاح مائة عام من العزلة عادلا فخريف البطريارك هي إنجازي الأدبي الأهم.

سألتك ثانية عن فيرجينيا وولف التي عانت من جنونها فانتحرت بوضع الحجارة في جيوب معطفها لتضمن الغرق في النهر، أطرقت وتراءيت لي مسحورا وأنت تقول بصوت كأنه آت من مديات نائية: حينما هجرت الجامعة نهائيا وصرت أعتاش من تجوالي لبيع الموسوعات والكتب الطبية في شبه جزيرة جواجيرا ذات الرمال الحارقة، أقمت في فندق رخيص مع سائقي الشاحنات والعابرين وكنت أقرأ بنهم وأكتشف الكتّاب الإنكليز والأميركان وأمست فيرجينا وولف السيدة الأرستقراطية البريطانية معبودتي السرية، وأعترف دون تردد أن روايتها

«السيدة دالاواي» منحتني مفتاح أول رواياتي «عاصفة الأوراق» لأنها غيرت إحساسي بمفهوم الزمن وتحلل الأشياء، وكما فعلت فيرجينيا بتأثيرها فيّ فعل أنطون دي سانت اكسوبيري، وقد أحببت الاثنين لأنهما كتبا عن الواقع برؤية شعرية في عالم مختل يفتقر الى التناسق والنظام، ولكن عالمي الشخصي كان منظما متسقا بفضل الأنوثة فقد تحملت سيدتي مرسيدس الكثير قبل أن تُنشَر «مائة عام من العزلة».

5. برج الحوت وزهور ماركيز الصفراء

لطالما كنت أيها الساحر تتطير من النذر والعلامات وإشارات الطبيعة الغامضة، تتفاءل بوردة صفراء تضعها لك مرسيدس على منضدة الكتابة كل صباح لتضبط إيقاعك لأنك لا تستطيع العمل وترتبك وتدور حائرا في الغرفة عاجزا عن التركيز وتحريك القلم أو النقر على الآلة الكاتبة مالم تجد الزهرة، فكانت مرسيدس الحانية تعتذر عن إرباكك وتهرع مذعورة لتضع أمامك رمز الأمان: زهرتك الصفراء التي صرت تزين بها عروة سترتك وتبتهج حين ترى أناسا يحملون زهورا صفراء وتردد:

- لا أشعر بالأمان إلا إذا كنت محاطا بالنساء والزهور الصفراء، اللون الأصفر يشعرني بالسعادة..

وهاهم يشيعونك الى خلودك مطوقا بأكاليل زهور صفراء وخلف نعشك يقف، مع سيدة حياتك مرسيدس، رئيسا كولومبيا والمكسيك، بلدا ولادتك وإقامتك، في روايتك (مائة عام من العزلة) جعلت السماء تمطر زهورا صفراء كشموس، وكنت تتشاءم من بعض الثياب والصور والكلمات، وقد لاتخرج من البيت إذا مرت بك علامة من تلك العلامات وحركت هواجسك الخفية، وعندما جاءك جيرالد مارتن الكاتب البريطاني المتخصص بآداب أميركا اللاتينية وفاوضك على كتابة سيرتك الذاتية قلت له بصوت بارد ودونما حماس:

- لماذا تريد أن تكتب السيرة؟ كتابة السيرة تعني الموت..

أكنت تخشى الموت وأنت القادر على الحب واختلاق الحكايا

المذهلة؟؟ كلنا نخشاه أيها الساحر ولكننا نتصالح مع فكرته ونتقبلها كحقيقة وحيدة في الحياة تختم كل الحكايا، حكايات الولادة والحلم والعشق والكفاح والشغف وبلوغ مراقي الأمنيات.

بغتة تعترف لنا مزهوا بأن مرسيدس وبرج الحوت كانا تعويذة النجاة كل حين - أحببتها وأنت في الثالثة عشرة وقلت: هذه ستكون زوجتي - فمذ اقترنت بمحبوبة طفولتك اختفت فوضاك وأخذتك إلى مرافئ حنانها ونظامها وهندست تقويم أيامك بانضباط عظيم، ولكن ياساحرنا هناك أمر يحيرني في هذا، فقد كنت أظنك ستكرس لهذه المحبوبة رواية عظيمة تخلدها بها، غير أن هذا لم يحدث واعترفت لصديقك ميندوزا في كتاب «رائحة الجوافة» بقولك:

-إنها تظهر مرتين في (مائة عام من العزلة) وكأنها هي، باسمها وهويتها الكيميائية، وتأتي في قصة (موت معلن) في مناسبتين بالطريقة ذاتها، لم أستطع توظيف شخصيتها في رواياتي أكثر من ذلك لسبب قد يبدو غريبا، لكنه ليس كذلك: لم أوظفها لأنني أعرفها الآن معرفة تامة لدرجة أنه ليست لدي أدنى فكرة عنها!

أجلسُ على مقربة منكما، أنت وجيرالد مارتن الذي أعجبتك رصانته وسمحت له دون سواه بكتابة سيرتك الذاتية ودام عمله معك لإنجازها سبعة عشر عاما، وقلت: من يود أن تكتب سيرته بشكل جيد عليه اختيار كاتب انكليزي، سمعتك تعترف بأريحية لاتينية كمن يتخفف من ثقل موجع وأنت تعرِّف بشخصك:

- اسمي أيها السادة غابرييل غارسيا ماركيز - آسف - فأنا شخصيا لايروقني هذا الإسم لأنه سلسلة من كلمات لم أجد لها أي رابط مع نفسي وبرجي هو برج الحوت، شهقت حين سمعت اعترافك: يا إلهي، أيعقل هذا؟

فأنا المفتونة بأعمالك من مواطني برج الحوت وإسمي لايروق لي لأسباب تختلف عن أسبابك، أسباب حزينة تتعلق بعصر الكراهية الذي فقست عنه بيضة الفوضى ورماد الحروب.

قلت أخيرا: إن هواجسك عن الحظ والشؤم هي استجابات لمعلومات ودلالات يلتقطها عقلك الباطن وأنك تتبع هذه الهواجس وتمتثل لها دون تردد.

6. العقلانية الأوروبية والواقعية السحرية

بعد أن تناولنا الشاي المنعش تحت ظلال النخيل والياسمين، حدثتنا عن مدينة أركاتاكا، صورت لنا حمّى مزارع الموز التي اجتاحت شمال كولومبيا قبل ولادتك بعدد من السنوات حين أمست أركاتاكا شبيهة بمدن الغرب الأميركي وفقدت خصوصيتها اللاتينية: فثمة قطار يشق البلدة بدخانه الأسود ومنازل خشبية ونساء ضائعات ينتظرن أمام الفندق يحملن مظلاتهن الملونة وحولهن يحوم الرجال والناس يتناقلون الحكايات حول الثراء اللعين والمستوطنات السكنية التي أقامتها الشركات الأميركية وسط مزارع الموز.

اصطحبك جدك يوما لرؤية المستعمرة من أطراف المزارع فشاهدت ماوصفته لاحقا بأنه عالم «غاتسبي العظيم» المترف: برك سباحة زرقاء وفتيات يلعبن التنس وسيارات مكشوفة تقودها نساء ساهمات بملابس بيض شفافة، مشهد يتناقض تماما مع فقر مدينتك وطرقها الموحلة.

تعرضت مدينتك لعاصفة مدمرة حين أغرقها المال الذي جذب الانحطاط للبلدة فاكتسحها المقامرون والعاهرات وحثالات البشر وكانت جدتك قد شهدت هذه العاصفة التي اجتاحت مدينتها وروت لك قصصا دونتها في روايتك الساحرة «عاصفة الأوراق» وكنت تعني إعصار حطام الإنسان وانهياره أمام جائحة حمّى الموز.

قلت: عاشت المدينة الأحداث الواقعية بسحرها وغرابتها ولم تكن الواقعية السحرية اجتراحا عصريا وافدا عليها أبدا إنما كانت واقعا

نعيشه في منطقتنا وتمتد جذورها وتجلياتها في الحياة وتفاصيلها اليومية وأخبرتنا بأنك قرأت أول عمل أدبي ينتمي للواقعية السحرية وتأثرت به وهو كتاب (يوميات كريستوف كولومبس) الذي تحدث فيه المكتشف عن نباتات خرافية ومجتمعات خيالية، وعقبت:

- لا شيء في واقعنا السحري يدعو للعجب فكل الأشياء الغريبة هنا تبدو اعتيادية جدا.

علق ميندوزا: لازلت مندهشا من تقبل القارئ الأوروبي لواقعيتك السحرية!

ضحكت وقلت: أجل تقبلها الأوروبيون وأحبوها، لكنهم لم يفهموا سحر الواقع كما نفهمه نحن ولبثوا حائرين إزاءه، لأنهم عقلانيون أكثر مما ينبغي، يعنون بسعر الطماطم والبيض والحسابات الأرضية أكثر مما يعولون على المخيلة والدهشة فلا يدرك الأوروبي سحر الواقع أبدا ولايمتلك ذلك الحنو والدفء الانساني الذي نمتلكه..

ونعلم أنك أمضيت ردحا من شبابك في أوروبا لكنك لم تحب المدينة الأوروبية القاسية، ففي بلدك كان للفقر جانبه المشرق حيث الحياة الكاريبية حياة انسانية مهما كان الأمر، ففيها يمتلك المرء أصدقاء في كل مكان واللقمة التي تكفي لإثنين يمكن أن تكفي ثلاثة، أما باريس فقد بخلت عليك بلقمة يوم أفلست وجُعت وبدأت تتسول في عربات المترو وتبحث عما يسد رمقك في قمامتها عندما أصبحت عاطلا بعد إغلاق صحيفة الاسكبتادور التي كنت تعمل مراسلا لها في فرنسا فلم تجد مكانا يؤويك وكنت تنام على مقاعد محطات المترو متجنبا الشرطة التي كانت تشتبه بك لأنك تشبه الجزائريين بينما كان الجزائريون يرتابون بك.

- هل تجد سببا أيها الساحر لتغلغل فكرة السحر في مجتمعاتكم؟

سألتك إثر تصريحك عن العقلانية الأوروبية وإشارتك الى تحكم العقلية الديكارتية في فرنسا.

قلت: مجتمعنا الكاريبي مزيج من الأعراق والأجناس البشرية، فهنا سود أفارقة جلبهم المستعمرون الإسبان كعبيد الى العالم الجديد ومعهم وصل قراصنة سويديون وبريطانيون ثم لحق بهم خليط من الصينيين والهنود والأتراك والعرب، وقد انصهر هذا التنوع البشري وانتج ثقافة حية مترعة بالسحر والغرائب.

وهمست لكما: مثلما أنتج نساء خلاسيات فاتنات ورجالا مغامرين، فنساؤكم سطعن مثل سبيكة معادن ثمينة تحمل ختم شعوب آسيا وأفريقيا وأوروبا والهنود الحمر.

وضحكتَما جذلاً.....

7. عندما «انقضّت العقبان على القصر الرئاسي»

العبارة الاستهلالية هي صاعق التفجير وهي الدخان الذي يؤذن بثورة البركان وانطلاق الصهير، سألتك: أيها المعلم ترى كم استلزم الأمر من السنوات لتصقل العبارة الاستهلالية في خريف البطريارك «انقضّت العقبان على القصر الرئاسي» التي أعدها عبارة بحجم رواية تكفي لتغطية أحداث قرون عديدة.

كنت تحدق في المدى البعيد وراء البحر والسماء الغسقية الحمراء ونحن نشرب شاي المتّة بقصبات من أكواب مزخرفة وأجبت على تساؤلي بأنك انتظرتها سبعة عشر عاما لتشرع في سرد سيرة أنموذجية لجميع ديكتاتوريي عصرنا، كتبت كتبا عديدة وأنت تنتظر اختمار صورة البطريرك الخرف في مخيلتك، هكذا هي الأعمال الخالدة العظيمة لا تنضج بين ليلة وضحاها ولا تخضع لمجرد رغبة الكاتب في الكتابة فلا يتسرع في إنجاز عمله بل قد يهبه ربع سنوات عمره لينضج جيدا، وكذلك الأمر مع الأعمال الأوبرالية العظيمة: فأوبرا «خاتم النبيلونغ» لفاغنر استلزمت منه عشر سنوات أمضاها بين المانيا ومنفاه في سويسرا.

كم من الدروس تعلمنا منك يا معلم الرواية وسيد العزلة؟؟ وكم حرضتنا أعمالك، فعندما قرأنا السقوط المدوي للبطريرك، حلمنا أن تنقضّ العقبان على القصور المحصنة «لتحرك الزمن الراكد برفيف أجنحتها» كما فعلت العقبان في رواية «خريف البطريرك» وأيقظت المدينة من سبات قرون عديدة وتساءلنا حينها: ترى، هل سيكون بوسعنا

الإفاقة من سباتنا الدهري بعد انقضاض العقبان الحديدية على القصر الرئاسي؟

كشف لنا ميندوزا برهة الإلهام التي منحتك إياها طائرة الفرار عندما هرب فيها ديكتاتور فنزويلا بيريز جيمينيز، في تلك اللحظة الفريدة عندما حلقت طائرة الديكتاتور فوق ليل مدينة كاراكاس - ولدت لديك فكرة «خريف البطريارك» أنهيت كوب المتة وطلبت المزيد فقدّمتُ لك الشاي الياقوتي المعطر بالهيل وسرحت بنظرك بعيدا وقلت:

- كان على متن طائرة الهيليوكوبتر جمينيز وزوجته وبناته ووزراءه وأقرب أصدقائه وكان الديكتاتور غاضبا وساخطا لأن مساعده الخاص ترك من فرط الاستعجال حقيبة فيها أحد عشر مليون دولار أسفل سلم الحبال الذي تسلقوه ليصعدوا الى الطائرة».

وجعلتك تقهقه بضحكة مجلجلة حتى دمعت عيناك عندما أخبرتك أن حكامنا الذين خلفوا الديكتاتور بعد ثلث قرن من حكمه وحروبه الحمقاء، لا يبالون بهذه الأحد عشر مليون دولار لأنهم ببساطة نهبوا المليارات واستولوا على ميزانية البلد في وضح النهار، فعلق ميندوزا ساخرا:

- يبدو أن ديكتاتورنا كان تلميذا فاشلا في مدرسة اللصوص!

أكملت حديثك: كنا هناك في كاراكاس نغطي الأحداث لحظة هروب الديكتاتور، فتوقفت إذاعة الموسيقى الكلاسيكية بعد ثلاثة أيام من البث المتواصل في انتظار سقوط الديكتاتور ليعلن المذيع خاتمة الحكاية، لا تنس بيلينو: ذلك المشهد الجمالي العجيب عندما رأينا الأنوار تضاء في نوافذ كاراكاس تباعا وكأنها مصابيح شجرة عيد الميلاد، بعد هرب الرجل وفي الصباح الباكر نفخوا في الأبواق ودوت صافرات المصانع ورفرفت رايات النصر في الطرقات.

قال ميندوزا: كانت تلك هي المرة الأولى التي نشهد فيها سقوط ديكتاتور.

قلت لكما: في بلادنا ما عدنا نحصي مرات السقوط التي مرت أمامنا ونتوقع المزيد منها كل حين، كم أتمنى أن يتاح لي ما يكفي من الزمن لأكتب عما شهدت.

همس لي مندوزا: أتعلمين لقد قرأ غابيتو جميع السير الذاتية للحكام المستبدين، واكتشف أن جميع حكام أميركا اللاتينية المستبدين قد أصابهم الجنون، وأن جميعهم أبناء أرامل، يا للمصادفة! سأروي لك لاحقِا قصصا حقيقية عن هؤلاء المختلين.

8. «نتحول إلى الثقافة عندما لا تكون السياسة ممكنة"

أيها المعلم الساحر هذا هو شعارك الذي انطلقت منه خلال سنوات الثمانينيات وأنت تواصل الكتابة عن مهمة السينما في عالمنا المعاصر ودور الثقافة في مواجهة الساسة والمستبدين، كنت تتحدث حينها عن مشاريعك الخاصة للحركة السينمائية اللاتينية وكان أكثر مشاريعك إلحاحا وحضورا في نشاطك ومقالاتك هو مسعاك لتأسيس المدرسة العالمية للسينما والتلفزيون مزامنة مع إنشاء مؤسسة السينما العالمية في هافانا ووضعت أموالك فيهما بعد فوزك بنوبل ويتفق هذا الأمر مع خطابك الانساني والثوري وحينها أطلقت مقولتك الشهيرة «عندما لاتكون السياسة ممكنة، تحَوّل إلى الثقافة» وعندما سمعتك قلت لنفسي: لو نلت جائزة ما سوف أسهم في أمر مشابه، ألسنا معا من برج العطاء، برج الحوت؟؟ فلن آكل أكثر من حاجتي ولم ولن أتزين بالذهب كما تفعل النساء فكل ما يتبقى منّا هو أفعالنا ومواقفنا.

كان مبتغاك من هاتين المؤسستين تعليم فنون السينما - نظريا وعمليا- لشباب أميركا اللاتينية وشباب العالم وهي فكرة انبثقت من حوارك مع صديقك فيديل كاسترو بعد حصولك على جائزة نوبل.

أثارت صداقتك لكاسترو كثيرا من الأقاويل في أميركا اللاتينية والعالم، لكني أعلم جيدا أنك كنت عاشقا للثورة والعدالة الإجتماعية والحريات في أعماقك، وكانت صداقتك لكاسترو صداقة أدبية حسب، كنتما تتسابقان في قراءة مختارات من الكتب قديمها وحديثها، فكنت

تقترح لكاسترو كتابا في المساء وتظن أنه سيقرأه خلال أسبوع فإذا به يفاجئك صباحا بأنه أكمل الكتاب خلال ساعات الليل وبدأ مناقشته معك بمتعة قاريء شغوف لا تفوته كلمة أو إشارة مرت في الكتاب.

ذلك اليوم وبينما كنت أهيء المقبلات الشرقية وأنت منهمك بإعداد مأدبة من صيد بحري على الساحل - قلت ضاحكا أنك تجيد عمل هذه المقبلات التي تعلمتها من مرسيدس ذات الجذور العربية وسألتك وأنت مشرق بالبهجة:

- ماهو أول إجراء إتخذته لتنفيذ حلمك السينمائي؟؟

- كتبت كتاب «كيف تحكي حكاية» عن فن كتابة السيناريو السينمائي ليكون وثيقة عملية ومرشدا بين أيدي الطلاب.

-اطلعت على الكتاب القيّم مترجما الى العربية، وأعلم أنك بدأت عملا آخر يخصّ السينماعن مغامرة المخرج التشيلي ميغيل ليتين المنفي المطارد من سلطة بينوشيه، ليتين الذي عاد ودخل تشيلي سرا لينجز مشروعا سينمائيا يستحق المجازفة،فتنكر بزي رجل أعمال ودخل تشيلي وماعلم بالأمر سوى بعض الأصدقاء، ثم غادر تشيلي وهو يحمل في حقيبته مائة الف قدم من أشرطة سينمائية عن بينوشيه ونظامه.

- أجل أنا رجل ثوري وعاشق للسينما وقد أغرمت بمجازفة ليتين لذا اخذت الطائرة من المكسيك الى مدريد للقاء ميغيل ليتين وسجلت ثمانية عشرة ساعة من حوار معه امتد على مدى اسبوع كامل ثم اختصرت ستمائة صفحة من السرد لتصبح مائتين وخمسين صفحة يرويها ليتين نفسه بضمير المفرد المتكلم وصدر الكتاب بعون من الأصدقاء في تشيلي وأقدمت السلطة الفاشية على حرق 15 ألف نسخة من الكتاب وصلت إلى ميناء بالباريسو التشيلي.

- قيل انك ابتهجت لدى سماع هذا الخبر فبينك وبين بينوشيه ثأر قديم فقد منع كتبك وقلت عبارتك الأثيرة: «عندما يستاء منك عدوك فهذا يعني أنك على صواب».

- نعم فرحت لأن حرق الـ15 ألف نسخة من الكتاب دليل على غباء الديكتاتورية فزيارة ليتين لم يعلم بها أحد إلآ عندما أحرقوا الكتب فانكشف تسلل ليتين إلى تشيلي.

9. قبل نيل الجائزة: أكاديمية نوبل تشبه الموت

بعد النجاح المدوّي والشهرة العالمية التي حظيت بها رواياتك الكبيرتان «مائة عام من العزلة» و«خريف البطريرك» بدأت بكتابة نمط جديد من المقالات التي تميل إلى الأدب أكثر من كونها صحفية وتنطوي على توجهات سياسية أيضا فقد وجهت نقدك اللاذع للرئيس الأمريكي ريغان وحملته الإمبريالية على دول الكاريبي، حدث ذلك في 1980، طارت مقالاتك -التي اختفت منها النزعة اليسارية عبر البلاد الناطقة بالأسبانية: صحيفتكم الكولومبية الاسكبتادور الصادرة في بوغوتا والباييس الأسبانية وصحف أخرى في أميركا اللاتينية، يقول جيرالد مارتن كاتب سيرتك «اختفت الروح الرفاقية من المقالات.. ومما يثير الدهشة أن المقالات الأربع الأولى كانت عن جائزة نوبل» ترى هل بوسعك تفسير الأمر؟؟ هل كنت تسعى للفت انتباه أعضاء الأكاديمية السويدية؟؟ وهل قمت ببحثك الواسع عن مدينة ستوكهولم والتقيت عضو أكاديمية نوبل البارز أرتور لاندكسيفت للغرض ذاته؟؟

- ربما كان الأمر كذلك من وجهة نظر البعض ولكنه غير صحيح.

- وقلت في مقالتك الأولى: «إن الأكاديمية السويدية تشبه الموت لأن اختياراتها غير متوقعة؟"

.- أجل، ولكن سيكون الأمر مختلفا معي، لقد التقيت أرتور لاندكسيفت وزارني في منزلي وتباحثنا في كيفية تشكيل لجنة الجائزة وكيفية اختيار الفائزين وتفاصيل طقوس تسليم الجائزة.

- أيها الساحر مهلا، لقد علق جيرالد مارتن على سلسلة مقالاتك تلك بأنك أوحيت لقرائك بل سمحت لهم بدخول حياة المشاهير أمثالك وقمت بسرد تفاصيل حياتك الراهنة وماضيك، هل كنت تتمتع الى هذا الحد بكونك من المشاهير وبأنك التقيت شخصيات بارزة؟

- مذاق الشهرة شديد الإغراء لفرط حلاوته وغرابته، حتى ليكاد المرء يغص به، وقد يتحول إلى طعم بالغ المرارة إلى حد القتل أحيانا، كما حدث مع جون لينون وشهرته التي أفضت إلى مقتله، كتبت حينها بأنني أنوء تحت ثقل اكثر من خمسين سنة على كاهلي ومازلت لا أعرف من أنا ولماذا أنا في هذا المكان!

بعد هذا السيل من المقالات وحديثك عن العزلة والحاجة الى الحب قررت العودة الى وطنك لتختم غربة طويلة في باريس وأوروبا وكنت تفيض مرحا وسعادة لكن الأوضاع تغيرت واتهمتك الحكومة بأنك على صلة بحركة الثوار المسماة «إم - 19» المرتبطة بكوبا وتواترت الأنباء عن محاولات لاغتيالك فاجتمع الأصدقاء لحمايتك حتى وصلت مبنى السفارة المكسيكية لتقدم طلبا للجوء وحمتك السفيرة المكسيكية، وعند وصولك المكسيك وفرت لك الحكومة حراسة شخصية وسقطت الحكومة اليمينية في كولومبيا ليعتلي السلطة صديقك ميتشلسين وفي هذه الأجواء المثيرة ظهرت روايتك «قصة موت معلن» عن أربعة دور نشر مرة واحدة في كولومبيا والأرجنتين والمكسيك وأسبانيا وحققت مبيعات مذهلة فقد طبع منها مليون نسخة بواقع ربع مليون نسخة لكل من البلدان الأربعة ثم بلغت النسخ المطبوعة أكثر من مليوني نسخة وهو أعلى رقم لطبعة أولى لأي كتاب أدبي نُشر في العالم، هل كان الأمر كذلك فعلا؟

- وأكثر من ذلك، بل وصرحت حينها بأن «قصة موت معلن» هي أفضل رواياتي..

- في هذا الوقت انتشرت شائعات عن تلقيك أموالا من كاسترو،

وقد علقت مرسيدس: «عندما أسمع ذلك أقول حان الوقت لنرى ذلك المال».

- فماذا كان رد كاسترو؟

- قال كاسترو: إنه لأمر سيء إذا أرسلوا لي قائمة بمبلغ لأدفعه ولكن لدي قول لا يمكن مناقشته أيها السادة، إننا لا نستطيع أن ندفع المال لغارسيا ماركيز لأن ثمنه غال جداً.

10. الأزمنةُ تتغير وعلينا أن نتكيّف!

عند بلوغك السبعين، أيها الكولومبي الساحر، صرت تشبه بندول الساعة الذي يتذبذب يمينا غالب الأوقات ثم لبرهات قصار يتجه يسارا نحو كوبا. وعندما توقفت ساعة اليسار عن إعلان دقاتها شرقا أعلنت بلا مواربة «إن الأزمنة تتغير وعلينا أن نتكيف». ولم تجد بأسا في التكيف والانحياز لاقتصاد السوق وميل بندولك الشخصي نحو البورجوازية اليمينية ومصاحبة الرؤساء اليمينيين، لكنك لم تفرِّط بصداقتك لكاسترو. وعندما احتجّت الحشود على إعدام معارض كوبي كنت مع اوكتافيو باث في حشد جماهيري وبدأت تبرر علاقتك بكاسترو ودورك في إعفاء السجناء واطلاق سراحهم. وعندما عدت في اوائل التسعينات الى كولومبيا طرحت نفسك كرجل عالمي مشهور يرغب بأدوار سياسية كبيرة أكثر من كونه كاتبا شهيرا ووظّفت شهرتك الأدبية لخدمة السياسة. ترى كيف وطدت موقعك كأديب يغازل السياسة المتغيرة؟؟

– أصدقائي الرؤساء مختلفون بينهم اشتراكيون ويمينيون، لكني أردت طرح موقفي السياسي فاشتريت بالمزاد نشرة أخبار تلفزيونية مسائية وشاركني الاستثمار بعض أصدقائي الصحفيين ودفعت المبلغ الأكبر، ومنحتني الحكومة رخصة بدء البث في 1992..

– هل كنت تخطط لعودة مظفرة الى كولومبيا عن طريق السياسة؟؟

– ليس الأمر كذلك لكني قررت العودة وإرساء قواعد راسخة لحياتي

فاشتريت شقة فخمة في بوغوتا وخططت لبناء منزل أحلامي على البحر في كارثاخينا..

- صرت تدعى الى معظم الفعاليات السياسية والثقافية في أميركا اللاتينية وإسبانيا ثم الولايات المتحدة التي منحتك تأشيرة دخول بعد ثلاثين سنة من محاولات الحصول عليها، لماذا كنت ترنو بلهفة إلى زيارة الولايات المتحدة؟؟

- قرائي المتحمسون في الولايات المتحدة أكثر من أي بلد في العالم. وفي مقدمتهم الرئيس بيل كلينتون، ولم يكن اعتراضي على أميركا طوال السنوات إلا اعتراضا سياسيا لكني أقدر ثقافة الشعب وقد حضرت لغرض ثقافي وهو دعوتي لافتتاح مهرجان نيويورك السينمائي..

- وحظيت أخيرا بلقاء الرئيس كلينتون، هل كان الأمر مخططا له؟؟

- حصل اللقاء بمبادرة من الروائي وليم سارويان عندما دعاني أنا وكارلوس فوينتس الى منزله لنلتقي بكلينتون وزوجته هيلاري لسبب أدبي بحت: وهو أننا الأربعة - سارويان وكلينتون وفوينتس وأنا مغرمون بفولكنر رغم مابيننا من تناقضات. أدهشنا بيل كلينتون عندما قرأ لنا عن ظهر قلب مقاطع كاملة من رواية «الصخب والعنف» بينما ورد في الصحافة أن عائلة بوش لاتملك كتبا في منزلها وتكتفي بمشاهدة التلفاز، وقد حاولت سحب الحوار الى السياسة ومناقشة موضوع كوبا لكن الأمر لم يلق استجابة تُذكر من قبل كلينتون..

كان فوينتس الحاذق سياسيا يسابقك لطرح أفكاره فقال من أجل حل المشكلة الكوبية: «على كلينتون أن يتخلى عن فلوريدا ليربح العالم وعلى كاسترو أن يتخلى عن ماركس لينقذ الثورة» لكن أحدا لم يستمع اليه..

- عند سقوط بينوشيه دعيت لإعادة افتتاح منزل «بابلو نيرودا» في «إيسلا نيغرا» بعد أن أغلقه بينوشيه على مدى 17 عاما، وحضرت مناسبات ثقافية عديدة في أميركا اللاتينية وإسبانيا، وفي الوقت ذاته

كنت توطد علاقاتك بالساسة ورؤساء العالم: كاسترو ورؤساء كولومبيا المحافظين ورئيس المكسيك وتوطدت صداقتك مع رؤساء فرنسا واسبانيا والمدير العام لليونسكو، بمعنى أن البندول قد اتجه يمينا بصورة نهائية، ماقولك في هذا؟؟

- علينا أن نتكيف مع المتغيرات وما أتوقعه للقرن 21 أن على النساء الأخذ بزمام العالم لإنقاذ البشرية.

11. الحب أهم موضوع في تأريخ البشرية

غابو أيها الساحر: لثقتك بأنك من الخالدين، كان يفترض بك أن لاتهاب الموت ولاتخشى المرض، لكنك كنت تكتب كثيرا عن الموت لأنك مسكون به حد أن أضحى كابوسا توقظه علامات وإشارات كنت تتشاءم منها. قال عنك مراسل النيويورك تايمز «أن أعمالك حافلة بالموت والموتى، وتدلل على هوسك بالموت لأنك تظن وتشعر أنه سيداهمك إذا ماتوقفت عن الكتابة».

- ثم كتبت قصصا عن أناس يكتشفون أن أفضل شيء يقومون به هو نسيان الموت ومواصلة مغامرات الحياة في الحب. وعندما ازدادت وطأة فكرة الفناء عليك سارعت لتكتب عن الحب فكتبت «عن الحب وشياطين أخرى»..

- أجل لأني أيقنت كخلاصة لحياتي أن الحب أهم موضوع في تاريخ البشرية.

- لكن كتاب «عن الحب وشياطين أخرى» أتى اكثر سوداوية مما توقع الكثيرون. ماهو السر في هذا الانجراف الكلي للسوداوية حتى في قصص الحب؟؟

- لأني كنت أرى العالم ينكص إلى الوراء بسرعة، يعود إلى ماقبل الثورة الفرنسية وعصر التنوير،يعود إلى الوراء تماما، حتى قبل استقلال اميركا اللاتينية عن إسبانيا.

- سألتك إحدى الصحفيات عن تصوراتك لبلادك في القرن الحادي والعشرين فماهي صورة كولومبيا في المستقبل؟؟

- نحن لم ندخل القرن العشرين، فكيف نخدع أنفسنا ونصدق أننا دخلنا القرن الحادي والعشرين؟؟ نحن نعيش مختبر أوهام فاشلة وعلينا أن ننسجم انسجاما كاملا مع عصورنا الوسطى ولانصدق أننا في عصر آخر..

- في معرض الكتاب في اشبيلية كنت سيد الجناح الكولومبي ولاحقتك الجماهير للحصول على توقيعك، وقد افتتح المعرض المرشح لمنصب رئيس الجمهورية الكولومبية هوراشيو سيريا وكانت ثمة لافتات تحمل صورتك بمناسية الذكرى 25 لصدور «مائة عام من العزلة» وقد سمع هوراشيو رجلين يتحاوران، قال الأول: من هذا الرجل في الصورة؟؟ أجاب الآخر: هذا ديكتاتور كولومبيا مضى عليه خمسة وعشرون عاما في السلطة!!

- ترى ماهو شعورك عندما حدثك هوارشيو عن هذه الطرفة: يظن العامة أنك ديكتاتور كولومبيا؟

- يبدو أن الأدب يفرض سلطته الجامحة بنوع من الاستبداد.

- إعترفت بأنك ذهبت في زيارة الى أوروبا لاستعادة ذكرياتك عن المدن لتكتب كتابك «الحب وشياطين أخرى». هل حقا كنت قد نسيت ملامح المدن؟؟

- وجدت أمرا غريبا، فالمدن لم تعد تلك المدن التي عرفتها فيما سبق ووجدتني غير ذلك الرجل الذي عاش فيها، وشاهدت مافعله الزمن من أضرار وتبدلات في المدن والناس، لذلك رأيت أن لا أعتمد على الذاكرة وواقع الأحداث بل أنظر إلى الأحداث عبر الزمن.

- حظي كتاب «الحب وشياطين أخرى» باستقبال جيد في الأوساط الأكاديمية التي سرّها أنك تبنيت اهتمامات مابعد الحداثة السائدة في الجامعات بخاصة موضوعات النسوية والإثنيات والجنس والدين والهوية وتركة عصر التنوير، هل أسعدك الأمر؟؟

- ما اسعدني أكثر أن الروائية والناقدة البريطانية أي.أس. بيات وصفت الرواية في «نيويورك ريفيو اوف بوكس» بقولها: إنها رواية تعليمية تقريبا لكنها مؤثرة وعمل بطولي رائع..

- يصفك كاتب سيرتك جيرالد مارتن بأنك «رجل العالم» ويذكر أن مراسل النيويورك تايمز قال في مجال تقييمك «الرؤساء يأتون ويرحلون لكن الكاتب الذي يذكرنا بطائر البوم والمعروف بلقبه العالمي غابو هو الذي يبقى، بمَ تعلق؟؟"

- تبقى السياسة والأدب أكثر الطرق ضمانا للخلود البشري.

12. ماركيز والجنرال في متاهة النهاية

إستوليت على القلوب بفرادة نصوصك ومذكراتك وقوة حضورك. يذكر جيرالد مارتن، أنك بعد اكتشاف اصابتك «بسرطان الجهاز اللمفاوي» وعلاجك الناجح في لوس انجلس ظهرت كأنك أحد المناضلين الكبار الواقفين بوجه تقلبات الدهر وقد طمأنك جيرالد الذي شفي قبل ثلاث سنوات من المرض ذاته فاكتسبت أملا يانعا وواصلت العمل والعلاج، وبدأت تراجع ملاحظاتك عن مذكراتك في الوقت ذاته. كان جيرالد يدون سيرتك، وعدت للكتابة في مجلة كامبيو على مدى عقد تقريبا وتوجت كتابتك لها باجرائك حوارا مع «شاكيرا» وخصصت لك المجلة ركنا عنوانه «غابو يجيب» كنت ترد فيه على رسائل معجبيك. ولبثت تكتب فيه مقالات مستوحاة من أسئلة قرائك، غير أن نشاطك الأساسي بقي منصبا على إنجاز كتاب مذكراتك الأجمل «عشت لأروي» وكنت تردد وأنت تجاهد لتنشيط ذاكرتك المتهاوية: إن من يودون كتابة المذكرات هم أناس شاخوا الى حد لايستطيعون معه أن يتذكروا شيئاً.

لطالما كنت تهجو السلطة وأنت تصاحبها، ونعلم أنك أحببت الكتابة والسلطة بنفس القدر، ولكنك جهرت بنقد السلطة عندما كتبت عن سيمون بوليفار محرر أميركا اللاتينية وكشفت خصوصيات أيامه الأخيرة وتخبطه بين رغبة الإختفاء وإعلان التخلي المتكرر عن السلطة في روايتك «الجنرال في متاهته»، وجعلته يقول عبارة الديكتاتور الأخيرة حين يدرك أفول نجمه وكأنه يناجي مصيره:

- فلنعجل بالرحيل، فمامن أحد يحبنا هنا.

أُثارت روايتك هذه غضب العديد من دول أميركا اللاتينية لانك فضحت ضعفه وكوابيسه وشروده مما اعتُبِر مساسا بسمعة أهم وأبرز الرجال الذين أنجبتهم أميركا اللاتينية،هل كنت تحاول تهديم القداسة والهالة المعظمة للسلطة في شخص مثل سيمون بوليفار؟

- كتبت عن انسان في أضعف لحظاته وهو يواجه اخفاقات حياته وهذه هي مهمة الروائي، لست معنيا بنسف القداسة السياسية.

- لكنك صورته تمثالا من قش تحرقه الحشود الغاضبة في الميادين العامة كأي ديكتاتور. وكان هو يوغل في متاهة الغروب ضعيفا شاحبا ترتجف أصابعه لشيخوخة مبكرة فيسقط القدح من يده ويهمس للأطباء حين طلبوا منه الإدلاء باعترافه ووصيته: مامعنى هذا؟ هل حالتي سيئة لتحدثوني عن الوصية والاعتراف؟؟ كيف أخرج من هذه المتاهة؟

اختزلت محنة السلطة بمصير الجنرال سيمون بوليفار المحاصر في متاهته بعد حروبه وثوراته وسلطاته الواسعة في دول أميركا اللاتينية المحررة ومغامراته العسكرية ومواجهاته مع اعدائه واستقالاته المتتابعة، وجعلته يصدر حكمه القاطع على الآخرين بأنهم خونة، فعندما أبدى ملاحظة من أنه لم يسمع صياح ديكة الفجر منذ عقود قال له خادمه المخلص:

- هنا لاتوجد ديكة.

فعلق بوليفار: هنا لايوجد شيء، هنا أرض الخونة.

- ترى هل كان أحد الرؤساء حاضرا في ذهنك لحظتها؟

- بل كان هو النموذج الكامل للسلطة في جموحها وأطماعها وانهيارها.

دعنا من بوليفار وأهل السلطة، لقد اثار كتاب مذكراتك «عشت لأروي» اهتمام العالم كله وبيع منه في الاسابيع الاولى مليون نسخة وقد

صدّرته بعبارتك الفاتنة «الحياة ليست ماعاشه أحدنا، بل هي مايتذكره وكيف يتذكره ويرويه». وقيل عن هذا الكتاب إنه كتاب تحقيق رغبة فهو يخفي كل ماهو سيئ ومؤذ في حياتك.

- كان الكتاب رواية حياتي وقد أحبه العالم.

- لوّح شافيز بالكتاب خلال حديثه الاسبوعي المتلفز وحث الفنزويليين على قراءته، ماهو تعليقك؟

- وصل الكتاب الى كلنتون وملك وملكة أسبانيا أيضاً.

لطفية الدليمي: الأعمال المنشورة



المؤلفات:

- ممر إلى أحزان الرجال (قصص) - بغداد، 1970.
- البشارة (قصص) - بغداد، 1975.
- التمثال (قصص) - بغداد.
- إذا كنت تحب (قصص) - بغداد، 1980.
- عالم النساء الوحيدات (رواية وقصص) - بغداد، 1986 - طبعة ثانية دار المدى 2010.
- منٍ يرث الفردوس (رواية) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، 1989 - طبعة ثانية بغداد، دار المدى 2014.

- بذور النار (رواية) - بغداد، 1988.
- موسيقى صوفية (قصص) - بغداد (حصلت على جائزة القصة العراقية 2004) - طبعة ثانية 2013 دار المدى - بغداد.
- في المغلق والمفتوح- مقالات جمالية.
- مالم يقله الرواة (قصص) -الأردن - دار ازمنة - 1999.
- شريكات المصير الأبدي - دراسة عن المراة المبدعة في حضارات العراق القديمة - دار عشتار- القاهرة- 1999، وطبعة ثانية - دار المدى 2013 بغداد.
- الساعة السبعون (نصوص) - بغداد - 2000.
- ضحكة اليورانيوم (رواية)، 2000.
- برتقال سمية (قصص) - 2002- بغداد.
- حديقة حياة- (رواية).
- يوميات المدن - 2009 - دار فضاءات - الأردن.
- كتاب العودة إلى الطبيعة - بغداد 1989.
- رواية (سيدات زحل) 2009 - دار فضاءات - الأردن، وطبعة ثانية لدار فضاءات في 2012 وطبعة ثالثة في 2014.
- كتاب كوميكس باللغة الاسبانية بعنوان (بيت البابلي) مستل من فصول رواية سيدات زحل - 2013 دار نورما -مدريد.
- مسرات النساء (قصص) - دار المدى - 2015.
- اذا كنت تحب (قصص) - دار المدى 2015.
- عُشّاق وفونوغراف وأزمنة (رواية) - دار المدى - 2016.

الأعمال المترجمة عن الإنكليزية:

- بلاد الثلوج (رواية) - ياسونارى كواباتا - دار المامون - بغداد 1985- طبعة ثانية دار المدى 2013.

- ضوء نهار مشرق (روايـة) - أنيتا ديساي- دار المامون - بغداد1989- طبعة ثانية، دار المدى 2012.
- من يوميات أناييس نن - دار أزمنة - الأردن -1999- طبعة ثانية - دار المدى 2013.
- شجرة الكاميليا- قصص عالمية - بغداد 2000.
- حلمُ غايةٍ ما - السيرة الذاتية للكاتب - الفيلسوف كولن ويلسون، دار المدى، 2015.
- أصوات الرواية - حوارات مع نخبة من الروائيّات والروائيين - صدر ككتاب مجّاني مع مجلّة دبي الثقافيّة العدد 121 في يونيو 2015.
- تطوّر الرواية الحديثة، تأليف : جيسي ماتز، دار المدى، 2016، طبعة ثانية 2018.
- فيزياء الرواية وموسيقى الفلسفة: حوارات مختارة مع روائيات وروائيين - دار المدى - 2016.
- رحلتي : تحويل الأحلام إلى أفعال (مذكرات الرئيس الهندي الراحل زين العابدين عبد الكلام) - دار المدى - 2017.
- قوة الكلمات : حوارات ومقالات لنخبة من المفكرين والفلاسفة - بغداد - دار المدى - 2017.
- الرواية المعاصرة، تأليف : روبرت إيغلستون، بغداد - دار المدى - 2017.
- الروايات التي أحبّ، حوارات مع مجموعة من الكُتّاب - دار المدى - 2018.
- الثقافة، تأليف : تيري إيغلتون، بغداد - دار المدى - 2018.
- نزهة فلسفيّة في غابة الأدب: حوارية بين الروائية - الفيلسوفة آيريس مردوخ.

والفيلسوف بريان ماغي - بغداد - دار المدى - 2018.

الأعمال الدرامية:

- مسرحية الليالى السومرية - نالت جائزة أفضل نص يستلهم التراث السومريّ - قراءة مغايرة لملحمة كلكامش.
- مسرحية الكرة الحمراء - 1997.
- مسرحية الشبيه الأخير - 1995.
- مسرحية قمر أور.
- مسرحية شبح كلكامش.
- مسلسل تاريخي عن الحضارة البابلية بِـ (30) ساعة.
- سيناريو صدى حضارة - عن الموسيقى في الحضارة الرافدينية.

الدراسات:

- جدل الانوثة في الأسطورة - نفى الانثى من الذاكرة.
- كتابات في موضوعةالمرأة والحرية.
- دراسات في مشكلات الثقافة العراقية الراهنة.
- اللغة متن السجال العنيف بين النساء والرجال- لغة للنساء في سومر القديمة.
- صورة المراة العربية في الاعلام المعاصر.
- دراسات في واقع المراة العراقية خلال العقود السابقة وبعد الاحتلال.
- دراسات في حرية المرأة - اعداد وتحرير وتقديم - مركز شبعاد 2004 بغداد.
- كتاب أوضاع المراة العراقية في ظل العنف بأنواعه وعنف الإحتلال - إعداد وتحرير وتقديم، 2005.
- مختارات من القصة العراقية - ترجم إلى الإنكليزية والإسبانية - تحرير وتقديم - دار المأمون.

في مناجياتي الممتدة مع العملاق الإغريقي نيكوس كازانتزاكي بهرتني عبارته الساحرة: (توصّل الى مالاتستطيعه) التي كانت مفتاح سر حياته وكفاحه: واصل مسعاك لإنجاز صيرورتك الإنسانية في مدى عمرك البشري القصير، لاتتوقف ولاتلتفت إلى الوراء، إمضِ نحو تلك الوهجة النائية في الأفق، عليك أن تختبر الطرق الوعرة وأن ترتقي المنحدرات الخطيرة، ستجرحك الأشواك والصخور تدمي قدميك، دع الطرق المستقيمة فإنها لاتعزز قوتك، إختبر ذاتك في الصعب الوعر الذي تتجنبه الأرواح الواهنة، لاتتردد، سترتكب كثيراً من الأخطاء والخطايا ولكنك ستنجح أخيراً في التحرر من قيود الزمان والمكان والوصايا، ستفوز بروحك الحرة وتتألق جوهرة الوعي والحرية في ذاتك المستفيقة.



تعلمتُ من مناجياتي مع كازانتزاكي أن لاأؤمن بالحدود، كان يقول: نواصل الصراع لأننا نحب التفوق لا الخنوع، ويردد: نحن نغني رغم أنه لاوجود لمن يسمعنا، ولا أحد يدفع أجورنا، نكتب لأنفسنا ولانعمل للآخرين، نحن أسياد بساتين العالم، البستان ملكنا، نحرثه ونشذّب شجره ونجمع غلاله ونعصر أعنابه ونحتسي خلاصة خمرها، بمعنى عندما ننسى الحدود نستطيع فعل المستحيلات. العقل والقلب يقيداننا....


ISBN 978-9789933604
9 789789 933600